الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن٤- ٦هـ/ ١٠- ١٢م

د. بطل شعبان محمد غرياني

مدرس التاريخ الإسلامي كلية الدراسات الأفريقية العليا-

جامعة القاهرة

الإستشهاد المرجعى:

بطل شعبان محمد غرياني(٢٠٢٠). الصلات التجارية لمدينة جاو من خلال تقارير الحفائر الآثارية دراسة للفترة من القرن٤- ٦هـ/ ١٠- ١٢م. - حولية كلية الآداب. جامعة بني سويف.مج ٩،ج ٢ .- ٥٦٣ : ٦٥٧.

مستخلص:

تقع مدينة جاو على المنحنى الكبير لنهر النيجر فى جمهورية مالى حاليًا، أسسها الأجداد الأوائل لقبيلة الصنغى فى القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، وأصبحت خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، عاصمة لمملكة صنغى، إحدى الممالك الإسلامية

الكبرى فى السودان الغربى. وامتازت جاو بوقوعها عند ملتقى طرق التجارة البرية والنهرية، فغدت من أهم مراكز التجارة عبر الصحراء التى ربطت بين الشمال الأفريقى وممالك السودان الغربى. كما كانت محطة مهمة من محطات الطريق التجارى النهرى الأشهر فى بلاد السودان الغربى، وهو طريق نهر النيجر، والذى يصل المدينة بالمحطات المهمة الأخرى فى تلك البلاد، ومنها تنبكت وجنى. وقد أعان هذا الموقع المتميز فى مساهمة مدينة جاو بدور مؤثر فى التجارة عبر الصحراء الكبرى، حيث استوردت كميات متنوعة من السلع، جعلت من جاو وسيطًا تجاريًا مهمًا بين سلع المغرب والمشرق الإسلامى، وسلع بلاد السودان.

وسوف ترصد هذه الدراسة الروابط التجارية لمدينة جاو من خلال التجارة العابرة للصحراء الكبرى، والتى جعلت من تلك المدينة شريكًا لعدد من المحطات والمراكز التجارية المهمة. وقد أمكن من خلال تقارير الحفائر الآثارية رصد تلك الروابط وأهم المراكز والسلع التجارية المتبادلة

الكلمات الدالة: مدينة جاو–التجارة عبر الصحراء– بلاد السودان الغربى تقارير الحفائر الأثرية

Abstract:

The city of Gao is located on the great curve of the Niger river in the republic of Mali, that city is one of the most important cities and cultural centers of the countries of Western Sudan in the Islamic era, where it plays an active commercial role between the North and South of the Desert.

Through this study, which indicates the main references related to it in re-evaluating the role of the city of Gao in Trans-Saharan trade by comparing what included geographical and historical sources about the commercial activity and commercial links of the city of Gao, and what was reported by archaeological excavations. Through this comparison, we can determine the beginning of the commercial fame of the city of Gao, determine its trading partners, its role in commercial mediation between the north-desert trade

stations, the southern stations, the quality of the exchanged goods, their quantities, and finally the effects of commercial activity on the city of Gao.

Islamic sources are focused on the trade of certain commodities such as gold and salt, reports of excavation reports in more than one sub-Saharan site, a steady increase in imports of other commodities such as copper, glass, pottery, precious stones, ivory, etc., and whether they prove the existence of local manufacturing, which is the value of excavation reports Archeology in adding new data to the history of activities and commercial links across the Sahara Desert.

Keywords: Gao city- Western Sudan- Trans-Saharan trade- Archaeological excavation reports

مقدمة:

حظيت دراسة المدن والمراكز الحضارية بعناية الباحثين في التاريخ الإسلامي، لا سيما المدن التي أدت أدوارًا فاعلة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتعد مدينة جاو[١] واحدة من أهم المدن والمراكز الحضارية ببلاد السودان الغربي[٢] في العصر الإسلامي، حيث أدت دورًا تجاريًا نشطًا بين شمال الصحراء وجنوبها.

---

[١] انظر خريطة مدينة جاو والطرق التجارية عبر الصحراء، بالملاحق.

[٢] السودان الغربي، مصطلح أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، والممتدة بين المحيط الأطلسي غربًا وبحيرة تشاد شرقًا، والتي ضمت عددًا من الوحدات السياسية مثل جاو، وتكرور، وغانة، ومالي، وصنغي، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص١٠؛ مراد، حسين سيد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي خلال القرن ٦.٢ هـ/ ٨-١٢م، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ٢٠٠٦، الكتاب الحادي عشر، ص٣٧٣.

تقع مدينة جاو على المنحنى الكبير لنهر النيجر في جمهورية مالي حاليًا، أسسها الأجداد الأوائل لقبيلة الصنغي في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، وأصبحت خلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، عاصمة لمملكة صنغي، إحدى الممالك الإسلامية الكبرى في السودان الغربي[١]. وامتازت جاو بوقوعها عند ملتقى طرق التجارة البرية والنهرية، فغدت من أهم مراكز التجارة عبر الصحراء التي ربطت بين الشمال الأفريقي وممالك السودان الغربي. كما كانت محطة مهمة من محطات الطريق التجاري النهري الأشهر في بلاد السودان الغربي، وهو طريق نهر النيجر، والذي يصل المدينة بالمحطات المهمة الأخرى في تلك البلاد، ومنها تنبكت وجني[٢]. وقد أعان هذا الموقع المتميز في مساهمة مدينة جاو بدور مؤثر في التجارة عبر الصحراء الكبرى، حيث استوردت كميات متنوعة من السلع، جعلت من جاو وسيطًا تجاريًا مهمًا بين سلع المغرب والمشرق الإسلامي، وسلع بلاد السودان.

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فتنقسم إلى شقين، يتعلق الأول منهما بأهمية دراسة النشاط التجاري عبر الصحراء، ودراسة أهم مدنه ومحطاته، إذ ارتبطت شهرة هذه

---

(1) Maclean, Rachel, Insoll, Timothy: «Archaeology, Lluxury and the Exotic: the Examples of Islamic Gao (Mali) and Bahrain», World archaeology, Vol. 34, No.3: Luxury Foods, (Feb 2003), P. 560.

(٢) فارياس، باولو فرناندو: "نظام تجارة تادمكة وجاو كاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء مع التركيز على الكتابات المستمدة من الكتابات العربية في العصور الوسطى"، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد ١، السنة الثالثة (يناير ١٩٨١)، ص٤٠.

المدن بتطور شبكات هذه التجارة، وما ترتب على ذلك من ظهور إمارات سياسية وأسر حاكمة ببلاد السودان الغربي. كما ساهم انتشار الإسلام في تلك البلاد في دعم العلاقات التجارية مع بلدان العالم الإسلامي، وانعكس هذا على ما شهدته المدن التجارية من تطور ملموس، وبروز الممالك الإسلامية الكبرى. أما الشق الثاني فيتعلق بالحصول على مادة جديدة ثرية، يمكن من خلالها تكوين صورة أكثر شمولية ودقة للنشاط التجاري عبر الصحراء، وتتمثل هذه المادة في تقارير الحفائر الآثارية التي نشرها ثلة من الباحثين الغربيين والأفارقة المتخصصين في علم الآثار الأفريقي، وهو أمر ساهم في إعادة رصد النشاط التجاري عبر الصحراء دون اعتماد كلي على ما قدمته المصادر الإسلامية؛ الجغرافية منها والتاريخية من معلومات –رغم أهميتها البالغة– بشأن هذا النشاط، لا سيما في ظل ندرة هذه المعلومات، وغموضها وامتزاجها بالعجائب والغرائب في كثير من الأحيان[١].

أما عن سبب اختيار الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع حتى السادس للهجرة/ العاشر حتى الثاني عشر للميلاد، فيرجع إلى توافر الكثير من الأدلة الآثارية التي تعود لهذه الفترة، بشأن النشاط التجاري لمدينة جاو عبر الصحراء، وبما إن البحث يهدف إلى الاستفادة من تلك الأدلة في إعادة رصد النشاط التجاري لتلك المدينة، كان من الأحرى أن تكون هذه الفترة هي المقصودة بالبحث.

[١] الشكري، أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ٢١.

ومن خلال عنوان هذه الدراسة فإن الإشكاليات الرئيسة التي يطرحها تتمثل في إعادة تقييم دور مدينة جاو في التجارة عبر الصحراء من خلال البحث في بداية شهرتها التجارية، وإعادة تشكيل صورة للصلات التي ربطتها بغيرها من الشركاء التجاريين، ودورها في الوساطة التجارية بين محطات التجارة الواقعة في شمال الصحراء، والمحطات الجنوبية، ونوعية السلع المتبادلة، وكمياتها، وأخيرًا البحث في تأثيرات النشاط التجاري على مجتمع مدينة جاو. ولا يمكن إجراء مثل هذا التقييم إلا من خلال مقارنة ما ورد في المصادر الإسلامية سواء كانت جغرافية أم تاريخية، بما كشفت عنه التنقيبات الآثارية في موقع مدينة جاو، بل وفي مواقع أخرى بغربي أفريقيا.

وقد أحرزت الكشوف الآثارية في مواقع جنوب الصحراء نتائج ملموسة منذ بضعة عقود، فأدخلت تغيرات مهمة على حصيلة المادة المستقاة من المصادر المكتوبة، والشفهية، وموازاة مع هذا حدث تقدم خاص بالقراءة النقدية للمصادر المكتوبة، وتطبيق أدوات البحث في التاريخ الاقتصادي، بما يسهم في إعادة النظر في بعض النتائج التي كانت تؤخذ حتى عهدٍ قريب كقضايا مسلم بها.

وتتضح أهمية دراسة تقارير الحفائر الآثارية بالنسبة لكتابة التاريخ الاقتصادي – لا سيما النشاط التجاري– لمدينة جاو، بل ولبلاد السودان الغربي عامة في العصر الإسلامي؛ لتركيز المصادر الإسلامية على تجارة سلع بعينها كالذهب والملح، بينما أكدت تقارير الحفائر في أكثر من موقع جنوب الصحراء، الازدياد المضطرد في واردات سلع أخرى كالنحاس والزجاج والفخار والأحجار الكريمة والعاج، وغيرها، فضلاً

عما أثبتته من وجود تصنيع محلي. ولهذه المكتشفات أهمية كبيرة، لأنها تساعد في إعادة تتبع الشركاء التجاريين لجاو، وتقدم أدلة دامغة على صلات العالم الإسلامي بهذه المدينة خاصة، وببلاد السودان الغربي عامة، وما نتج عن هذه الصلات من تأثيرات متبادلة[1].

بناء على ما تقدم؛ فإن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج البحث التاريخي وأدواته المتمثلة في النقد والتحليل، بالإضافة إلى الاستفادة من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ، لا سيما علم الآثار، والذي يعد من أدق المصادر للبحث التاريخي، فالبحث يعتمد بالأساس على تقارير الحفائر الآثارية المتعلقة بمدينة جاو، فضلاً عن تقارير الحفائر التي أجريت في مواقع مراكز التجارة العابرة للصحراء في غربي أفريقيا، ومقارنة ما انتهت إليه من استنتاجات بما أوردته المصادر الإسلامية من إشارات تتعلق بدور مدينة جاو أو كَوْكَو، أو كاغ (وكلها مسميات مختلفة لنفس المدينة) في التجارة عبر الصحراء.

وتدين هذه الدراسة بالفضل إلى مجموعة من الدراسات المتضمنة تقارير الحفائر في مدينة جاو، لا سيما دراسات تيموثي إنسول (Timothy Insoll) أستاذ علم الآثار الإسلامية والأفريقية بجامعة مانشستر في المملكة المتحدة، والتي جمع فيها تقارير

(1) Insoll, Timothy: Islam, Archaeology and History Gao Region (Mali), ca. AD 900–1250, British Archaeological Reports, Archaeological and Historical Associates Llimited, Hadrian Books Ltd, Oxford, 1996, P.60.

حفرياته في موقعي جاو القديم، وجاو ساني، وتعد أبحاثه الأهم بين الأبحاث الآثارية التي أجريت في موقع جاو، حيث أجرى أبحاثه في شهري سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٩٣، بالاشتراك مع المعهد المالي للعلوم الإنسانية في جاو، كما استكمل أبحاثه مرة أخرى عام ١٩٩٦. وقد ركزت حفرياته على موقعين في مدينة جاو المذكورة في المصادر الإسلامية، وهما: موقع جاو القديم " الحي التجاري "، وفي الحي المجاور له المسمى جيدي Gadei، والذي يبعد حوالي ٨ كم شرقي مدينة جاو الحالية بدولة مالي، أما الموقع الثاني الذي أجريت فيه الحفائر، فهو موقع جاو – ساني، والذي كان مركزًا تجاريًا وصناعيا مشهورًا. ويقع على بعد ٤ كم شرقي مدينة جاو.

استفاد هذا البحث أيضًا من دراسة الباحث المالي مامادو سيسي (Mamadou Cisse)، بالاشتراك مع باحثة الآثار الأمريكية سوزان مكنتوش (Susan McIntosh)، وتضمنت هذه الدراسة تقارير الحفائر في موقع جاو ساني.

١- واعتمد البحث أيضًا على مجموعة من الدراسات الأركيولوجية الأخرى، لا سيما الدراسات التي تضمنت تقارير الحفائر في مواقع بعض المدن والمحطات التجارية المهمة في غربي أفريقيا، ومنها على سبيل الأهمية تقارير الحفائر الآثارية في موقع بيلمبيري بيرو Bilimbiri Bero في منطقة بنتيا Bentyia عام ١٩٩٦، لنويمي أرازي (Noémie Arazi) الباحثة بمركز الأبحاث وعلوم الآثار والتراث بجامعة بروكسل. ومنها دراسة عالم الآثار النيجيري أوجنيدران أكينوومي (Ogundiran Akinwumi) والتي تضمنت السلع المكتشفة في موقع آيل إيفي Ile-Ife في أرض

اليوروبا بنيجيريا. ومنها دراسة باحث الآثار والمؤرخ الفرنسي ريمون موني (Raymond Mauny) والتي أورد فيها تقارير حفرياته في مواقع تادمكة (السوق)، وجاو بدولة مالي. ومنها دراسة فاناكير (Vanacker) التي جاء فيها تقارير حفائرها في موقع تغداوست بموريتانيا.

ومن خلال الاعتماد على تقارير هذه الحفائر الآثارية يمكن الوصول لنتائج مهمة تتعلق بنشاط جاو التجاري عبر الصحراء، ولا سيما صلاتها مع المراكز التجارية الأخرى.

وسوف تندرج مناقشة هذا الموضوع تحت العناصر التالية:

أولاً– مدينة جاو وبداية شهرتها في التجارة عبر الصحراء.

ثانيًا– السلع التجارية العابرة للصحراء بين المعطيات المصدرية وتقارير الحفائر الآثارية.

ثالثًا– الصلات التجارية لمدينة جاو.

رابعًا– أثر النشاط التجاري عبر الصحراء على مدينة جاو.

أولاً- مدينة جاو وبداية شهرتها في التجارة عبر الصحراء:

يصعب وضع تحديد دقيق لبداية النشاط التجاري عبر الصحراء لمدينة جاو، لكن النقوش الصخرية أثبتت وجود اتصالات تجارية متنوعة عبر الصحراء الكبرى، فقد أظهرت هذه النقوش عربات تجرها الخيول، وتتبع طريقًا يبدأ من وادي درعة مرورًا بإدرار في موريتانيا الحالية لينتهي في الدلتا الداخلية لنهر لنيجر. وهناك طريق آخر

ورد في هذه النقوش، يعبر الصحراء من جنوب تونس وخليج سرت، ويمر بجبال الأحجار – في الجزائر حاليا– ليصل إلي نهر النيجر نحو مدينة جاو[١].

وعلي الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية، إلا أن الحديث عنها خلال العصر الإسلامي، أصبح أكثر يسرًا، بفضل ما وفرته المصادر الإسلامية من إشارات تتعلق بنشاط التجار المسلمين عبر الصحراء، وقد أكدت تقارير الحفائر هذا الأمر، من خلال الكشف عن الكثير من السلع التي حملها أولئك التجار إلى المراكز التجارية بالسودان الغربي.

بيد أن تقارير الحفائر في مدينة جاو أثبتت عدم وجود أدلة تؤكد وجود نشاط مؤثر لهذه المدينة في التجارة عبر الصحراء قبل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وأرجع إنسول السبب في هذا إلى أن الدور التجاري لهذه المدينة قبل هذا التاريخ كان محدود النطاق، فلم تكن شهرتها آنذاك سوى شهرة محلية، كما إن السلع التجارية كانت من النوع الذي يصعب العثور على أدلة آثارية تعبر عنه، مثل السلع الغذائية سريعة التلف، أو تجارة الرقيق[٢]. ويؤكد إنسول أن جاو بدأت تشارك بقوة في التجارة عبر الصحراء منذ بدايات القرن الرابع للهجرة، بدليل أن تقارير الحفائر الآثارية أثبتت أن

(1) Hunwick, John: Les Rapports Intellectuels Entre le Maroc et L'Afrique Sub-Saharienne à Travers les Ages, Chaire du Patrimoine Maroco-Africain, Université Mohammed V, Rabat, 1990, P.62.

(2) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.62.

غالبية المواد والسلع التجارية المكتشفة تعود إلى الفترة الممتدة من القرن الرابع حتى السادس للهجرة[١].

لكن هذا التفسير جانبه الصواب، فإذا صح الأمر فيما يتعلق بطبيعة سلع التجارة قبل القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وأنها كانت سريعة التلف، لدرجة جعلت من الصعب العثور على أدلة بشأنها، فإن القول بشهرة جاو محليًا فقط، أو أنها لم تلعب دورًا مؤثرًا في التجارة عبر الصحراء قبل التاريخ المذكور، هو أمر تقطع الشهادات المصدرية – لا سيما المصادر الإباضية – بعدم دقته، فهذه الإشارات أثبتت وجود صلات تجارية بين تاهرت الرستمية ومدينة جاو، فقد أدي استقرار الإباضية علي أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسة وغدامس ووارجلان منذ القرن الثاني للهجرة إلي ارتباطهم القوي بالتجارة عبر الصحراء. ثم توسعت تجارتهم بقيام الدولة الرستمية في تاهرت عام ١٦٠هـ/٧٦٦م، فقد أشرفت هذه الدولة علي التجارة عبر الصحراء، واهتمت بها وحفرت الآبار للقوافل، وأرسلت الجنود صحبة التجار لتأمينهم. لذلك تكون تاهرت واحدة من الأدلة الرئيسة علي قدم الاتصالات وانتظامها بين المنطقتين، فقد أصبح أكثر المسافرين لتجارة السودان يتجهون الي مدينة كوكو "جاو"،

(1) Insoll, Timothy: "Timbuktu and Europe: Trade, Cities and Islam in Medieval West Africa", in Linehan, Peter and Nelson, Janet (eds): The Medieval World, Routledge, London and New York, 2003, PP. 478, 480.

منذ النصف الثاني من القرن الثاني، وخلال القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد[١]. وبهذا يتضح أن بداية ذكر المصادر لدور مدينة جاو في التجارة عبر الصحراء يرجع إلى القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد، من ثم فإن شهرتها في تلك التجارة تسبق القرن الرابع للهجرة.

ثانيًا- السلع التجارية العابرة للصحراء بين المعطيات المصدرية وتقارير الحفائر الآثارية:

دلت الإشارات الواردة بالمصادر الإسلامية حول سلع التجارة عبر الصحراء على أهمية معدن الذهب السوداني في هذه التجارة، وأنه كان سببًا لمغامرة التجار المسلمين بقطع هذه المسافات الطويلة، عبر مسالك وعرة، محفوفة بعدد من المخاطر، وفي المقابل أشارت تلك المصادر إلى أن الحصول على هذا المعدن المهم كان يستلزم حمل كميات من الملح الذي عرف إقبالاً شديدًا من طرف أهل السودان الغربي، وارتفعت أثمانه حتى تم مبادلة الملح بنفس وزنه ذهبًا[٢].

---

[١] المالكي، ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣٢، ٦٢؛ الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، حققه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت.، ج٢، ص ٣٢٠؛ مراد، حسين سيد: مرجع سابق، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

[٢] ابن حوقل، أبو القاسم: صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٣٨، القسم الأول، ص ١٠١؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.، ص ١٧٤.

بيد أن تقارير الحفائر الآثارية في مدينة جاو أثبتت أن الملح لم يكن وحده محل اهتمام السودانيين، الذين حرصوا على اقتناء بعض السلع الأخرى، ولذلك فسوف نعيد تصنيف سلع مدينة جاو في التجارة عبر الصحراء ما بين صادرات وواردات، وفقًا لمعطيات المصادر المكتوبة وتقارير الحفائر الآثارية.

١- صادرات جاو:

لم تكن جاو مجرد مستورد لسلع التجارة عبر الصحراء، وإنما هيأ لها موقعها فرصة تصدير السلع المهمة التي عرفت طلبًا متزايدًا في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي، ومن الأخيرة كان يصدر إلى أوروبا. ومن أهم السلع التي صدرتها جاو: الذهب، والعاج، والرقيق.

أ- الذهب:

يأتي الذهب في مقدمة المواد الخام التي ساهمت جاو في تصديرها عبر الصحراء[١]. وبالرجوع للمصادر الإسلامية نجدها تؤكد رواج تجارة الذهب السوداني عبر الصحراء، بل وأبدى أصحاب هذه المصادر تعجبهم من كثرة هذا المعدن، فمزجوا الحديث عنه بروايات أسطورية، ومن هذه الإشارات تلك التي أوردها مؤلف فارسي مجهول من أهل القرن الرابع للهجرة، الذي تحدث عن بلاد السودان وتوافر أحجار

(1) Insoll, Timothy: «Islamic Glass from Gao», P. 88, Maclean, Rachel, Insoll: «Archaeology, Luxury », P. 562.

الذهب بها[١]. كما تحدث ابن الفقيه (توفي٣٤٠هـ/٩٥١م) عن بلاد التبر (غانة)، وبالغ في وصف كثرته بقوله: " والذهب ينبت في رمل هذه البلاد كما ينبت الجزر بأرضنا، وأهلها يخرجون عند طلوع الشمس ويقطفون الذهب "[٢]. وأكد البيروني (توفي٤٤٠هـ/١٠٤٨م) أن الذهب كان من أهم سلع التجارة عبر الصحراء[٣]. كما أثبت البكري (توفي٤٨٧هـ/١٠٩٤م) شهرة غانة بالذهب، لا سيما في إقليم غيارو[٤]، أما الإدريسي (توفي٥٦٠هـ/١١٦٤م) فقد أشار إلى كثرة الذهب بأرض غانة[٥].

وبرغم إسهاب المصادر الإسلامية؛ جغرافية وتاريخية في الحديث عن الذهب وأهميته في التجارة عبر الصحراء، كادت سلعة على هذا القدر من الأهمية تختفي تمامًا من قائمة السلع المكتشفة في موقعي جاو القديم، وجاو ساني، ويعلل البعض هذا الأمر

---

[١] مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص ٢٠٥.

[٢] كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٣١، ١٣٢.

[٣] الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٥٥هـ، ص ٢٤١.

[٤] المغرب، ص ١٧٦، ١٧٧.

[٥] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢، ج١، ص ٢٤، ٢٥.

أرجع ابن الخطيب (توفي٧٧٦هـ/١٣٧٥م) ثراء مملكة مالي إلى امتلاكها للتبر، الذي استخدم في المبادلات التجارية عبر الصحراء، انظر، الإحاطة في أخبار غرناطة، مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، القسم الثاني، ص٥٥٨-٥٦٠.

أما الحميري (توفي٩٠٠هـ/١٤٩٤م) فيذكر أن تجار المغرب الأقصى كانوا يقصدون بلاد تكرور الواقعة شرقي جاو، فيخرجون منها بالتبر، انظر، الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، ص ١٣٤؛ المنجد، صلاح الدين: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط٢، ١٩٨٢، ص ١١٠.

بوقوع مناطق إنتاج الذهب بعيدًا إلى الغرب من جاو، من ثم استنتجوا أهمية مدينة تنبكت بالنسبة لمملكة صنغي، وتفوقها على جاو، لأن تنبكت كانت الأقرب إلى مناطق إنتاج الذهب(١).

وبالرغم من كثرة الذهب ببلاد السودان الغربي، كانت مناطق إنتاجه محدودة، ولم تكن جاو من ضمن هذه المناطق، لكن كان طبيعيًا أن تكون من أبرز المراكز المصدرة لهذا المعدن المهم، كواحدة من أهم محطات التجارة عبر الصحراء(٢)، فأسهمت بدور الوساطة في تجارة الذهب نتيجة الطلب المتزايد عليه؛ فاستقبلته من مناطق إنتاجه(٣)، بعد أن نقل إليها عن طريق نهر النيجر عبر بنتيا كوكيا، ومن جاو صُدر الذهب إلى مدينة تادمكة – التي كانت محطة مهمة للتجارة عبر الصحراء(٤).

---

(1) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 71, Lange, Dierk: «from Mande to Songhay: Towards a Political and Ethnic History of Medieval Gao», Journal of African History, Vol. 35, No.2, (1994), P.299.

(٢) إ. هربك و ج. دُفيس: المرابطون، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤،المجلد الثالث، ص ٣٩٣.

(3) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 45, Insoll: «Iron Age Gao: an Archaeological Contribution», the Journal of African History, Vol.38, No.1 (1997), P.15.

(4) Farias, Paulo Fernando de Moraes: «The Oldest Extant Writing of West Africa: Medieval Epigraphs from Issuk, Saney and Egef-n-Tawaqqast (Mali)», Journal des Africanistes, Vol.60, Numéro.2, (Année 1990), P. 9.

ويؤكد دور جاو في تجارة الذهب، اكتشاف أوزان مصنوعة من الزجاج استخدمت في وزن غبار الذهب وشذراته في موقع جاو ساني[١]. وقد شاع العثور على هذه الأوزان في مواقع المراكز التجارية المهمة، حيث اكتشفت أوزان زجاجية صغيرة استخدمت لهذا الغرض في موقعي كومبي صالح، وتغداوست بموريتانيا[٢]. وثمة دليل آخر على تصدير الذهب عبر مدينة جاو، فقد عثر في موقع جاو – ساني على اثنتين من شذرات الذهب، ترجعان للفترة من القرن الرابع إلى السابع للهجرة/ العاشر إلى الثالث عشر للميلاد[٣].

وبهذا يتبين أهمية سلعة الذهب في التجارة عبر الصحراء وفقًا للمصادر الإسلامية، وإن كانت الشواهد الآثارية بشأن هذه السلعة قد جاءت قليلة، فإن هذا لا ينفي أهمية الذهب في المبادلات التجارية. وكان للعاج أهميته أيضًا في التجارة عبر الصحراء.

---

(1) Ibid, P.4, Insoll: Islam, Archaeology and History Gao, P. 45, Insoll: «Iron Age Gao», P. 15.

(2) Conrad, David: Empires of Medieval West Africa Ghana, Mali and Songhay, Acid-free paper, USA, 2005, P. 72.

(3) Cisse, Mamadou, McIntosh, Susan Keech, and Others: «Excavations at Gao Saney: New Evidence for Settlement Growth, Trade and Interaction on the Niger Bend in the First Millennium CE», Journal of African Archaeology, Vol.11, No.1, (2013), PP.14, 15.

ب- العاج:

على النقيض من إسهاب المصادر الإسلامية في الحديث عن سلعة الذهب السوداني في التجارة عبر الصحراء، نجد صمتًا شبه تام لهذه المصادر بخصوص تجارة العاج وتصديره من جاو عبر الصحراء، بالرغم من استخدام العاج بكميات كثيرة في ورش المغرب، ومصر، والأندلس، ولا توجد سوى إشارة واحدة للزهري في منتصف القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، الذي أكد تصدير أنياب الفيلة من كوكو (جاو) إلى مصر وبلاد الشام[١].

ووفقًا للعمري (توفي٧٤٩هـ/١٣٤٨م) وجدت الفيلة بكثرة في صحاري مملكة مالي، وأنها لا تؤذي إلا من تعرض لها، وهو ما يبرهن على وجود محاولات لاصطيادها لكنها كانت محفوفة بالمخاطر، ورغم ذلك يشير العمري إلى أن المصطبة التي كان يجلس عليها ملك مالي وتسمى البنبي، تزينت بأنياب الفيلة في جميع جوانبها[٢]. وبهذا يمكن القول أن مخاطر اصطياد الفيلة قد أدت إلى تراجع معدلات التجارة في العاج المأخوذ من أنياب الفيل.

---

[1] ص ١٢٤. كتاب الجغرافية، حققه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.، Insoll, Timothy: «A Cache of Hippopotamus Ivory at Gao, Mali and a Hypothesis of its Use», Antiquity, No. 69, (1995), P. 333.

[٢] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ج٤، ص ٥٢.

وأيًا كان الأمر، فقد سجل عاج الفيلة حضوره – بكميات محدودة – ضمن قائمة السلع الواردة في التقارير الآثارية الخاصة بمدينة جاو[١].

وقد كانت الإيبو أوكو أحد أهم مناطق إنتاج العاج؛ نتيجة لموقعها بالقرب من منطقة الغابات جنوب شرقي نيجيريا، فحصلت على العاج من أنياب الفيلة، على العكس من جاو التي وقعت بالقرب من ساحل نهر النيجر، مما يرجح أن الإيبو أوكو زودت جاو بالعاج مقابل الحصول على سلع الترف كالخرز الزجاجي[٢]، ساعد على ذلك وجود طريق يربط بين الشمال والجنوب على امتداد نهر النيجر وعبر جاو، استخدم للتجارة مع الإيبو أوكو[٣].

ولما كانت مخاطر اصطياد الفيلة قد أثرت سلبًا على كمية عاج الفيلة التي صدرتها جاو عبر الصحراء، فإنها وجدت البديل في تصدير العاج المأخوذ من أنياب فرس النهر، الذي كان صيده أقل خطورة من صيد الفيلة؛ فاحترف بعض الصيادين صيد فرس النهر، بالإضافة إلى عملهم الرئيس في صيد الأسماك نتيجة الطلب المتزايد

(1) Insoll: «Islamic Glass from Gao», P. 88, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 562.

(2) Insoll, Timothy and Shaw, Thurstan: «Gao and Igbo-Ukwu: Beads, Interregional Trade, and Beyond», African Archaeological Review, 14, 1 (1997), P.17, Okpoko, A. Ikechukwu: «Archaeology and the Study of Early Urban Centers in Nigeria», African Study Monographs, Vol. 19, No .1, (May 1998), pp.48-49.

(3) Insoll, and Shaw, Thurstan: Op.cit, PP. 18, 20.

على العاج[١]، لا سيما أن العاج المصنع من أنياب فرس النهر شهد رواجًا كبيرًا، وطلبًا متزايدًا؛ لأنه أكثر مرونة من عاج الفيلة[٢].

وتبرهن الأدلة الآثارية على شهرة جاو في إنتاج العاج المصنع من أنياب فرس النهر، فقد اكتشف مخبأ يضم حوالي خمسين نابًا من أنياب فرس النهر في مدينة جاو ترجع للقرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد [٣].

وهنا نطرح سؤالاً مهمًا: لماذا لم يرد ذكر سلعة العاج عمومًا، وأنياب فرس النهر على وجه الخصوص في المصادر الإسلامية كواحدة من السلع التي صدرتها جاو – وبلاد السودان الغربي عامة – عبر الصحراء، طالما أن العاج حظي بإقبال وطلب متزايدين، وتأكد شهرة بلدان المغرب، ومصر والأندلس بالصناعات المعتمدة على العاج؟

يرجح أن سبب في ذلك هو أن بعض فقهاء المالكية جعلوا من التجارة في أنياب الحيوانات محل شبهة[٤]، فبالرجوع إلى كتب الفقه المالكي نجد أن الإمام مالك بن أنس

---

[١] ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، طبعة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ ، ج٤، ص ٢٦٦.

Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P. 331.

[2] Ibid, P. 333.

[3] Insoll: "Timbuktu and Europe", P. 480, Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P.327.

[4] Ibid, P. 333, Insoll: " Timbuktu and Europe", P. 480.

(توفي١٧٩هـ/٧٩٥م) أفتى بتحريم التجارة في أنياب الفيل، وألا يمشط بأمشاطها، ولا يدهن بمداهنها[١]. ومما يؤكد كراهة تجارة العاج – وربما بعض سلع التجارة الأخرى كالرقيق – بالنسبة للفقهاء المسلمين، رفض الإمام سحنون (توفي٢٤٠هـ/٨٥٤م) قيام أحد التجار ببناء قنطرة يعبر عليها الناس، لأن كسب هذا التاجر كان من تجارة بلاد السودان[٢]. ويذكر عن أبي الفضل أحمد بن علي أحد تلاميذ سحنون وفقيه من فقهاء إفريقية، أنه ترك من ميراث أبيه أكثر من ألف دينار، وقال: "كان ذلك من تجارة العاج فكرهت أن أتلبس بشيء جاء فيه عن أهل العلم كراهية"[٣]. كما أفتى ابن أبي زيد القيرواني (توفي٣٨٦هـ/٩٩٦م) بكراهة الانتفاع بأنياب الفيل، وأكد اختلاف الفقهاء في هذا الأمر[٤].

ومن الأسباب التي أدت إلى غياب سلعة العاج في المصادر المؤرخة للتجارة عبر الصحراء أيضًا أنه لم يكن هناك تمييز واضح بين عاج الفيلة، وعاج فرس النهر، ولذلك فإن الإشارات النادرة التي وردت بالمصادر استخدمت مصطلح عاج بشكل عام

---

[١] ابن أنس، مالك: المدونة الكبرى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، المملكة العربية السعودية،١٣٢٤هـ، المجلد التاسع، ص١٦١.

[٢] عياض، أبو الفضل: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، حققه عبد القادر الصحراوي، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ط٢، ١٩٨٣، ج٤، ص ٧٩.

[٣] المالكي، أبو بكر عبد الله: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، حققه بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ج١، ص ٤٧٩.

[٤] القيرواني، ابن أبي زيد: الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.، ص ٥٩.

دون تمييز لنوعية هذا العاج. وفضلا عن هذا عبرت أوصاف فرس النهر في المصادر العربية عن افتقار مؤلفيها إلى الإلمام بمعلومات عن فرس النهر، بينما كان الفيل مألوفًا لديهم، فصاحب الاستبصار يذكر أن من عجائب بلاد السودان، حيوان يشبه الفيل وله أنياب، يكثر في نهر النيجر، ويصطادونه فيأكلون لحمه، ويصنعون من جلده الأسواط التي تحمل إلى جميع الآفاق[١]. كما خلط ابن بطوطة (توفي ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بين الفيل وفرس النهر عند زيارته لمملكة مالي عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م[٢].

ويمكن إرجاع هذا الأمر أيضًا إلى أن تركيز المؤرخين والجغرافيين المسلمين على الحديث عن سلعة الذهب، تسبب في إغفالهم ذكر بعض السلع المهمة في التجارة عبر الصحراء، ومنها العاج. وعمومًا اكتسب العاج أهمية كبيرة في تجارة جاو عبر الصحراء حسب تقارير الحفائر، وكان للرقيق أهميته أيضًا.

---

[١] مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص ٢١٨.

[٢] تحفة النظار، ج٤، ص ٢٦٦.

Insoll: «A Cache of Hippopotamus», PP. 333- 334.

ج- الرقيق:

اشتهر الرقيق السوداني كسلعة من سلع التجارة عبر الصحراء، بحسب المصادر الإسلامية، ومن البديهي أن تشارك جاو في تصدير هذه السلعة، بحكم مركزها التجاري المتميز، واستغلالاً لدور الوساطة التجارية الذي ساهمت به بين مراكز شمال الصحراء، والمراكز السودانية في الجنوب[١].

وقد تعددت مصادر الحصول على الرقيق في بلاد السودان الغربي، وأبرز هذه المصادر؛ الحروب التي كان من نتائجها وقوع عدد كثير في الأسر، بل إن بعض الحروب نشبت بهدف قنص أكبر عدد من الرقيق، سواء لاستخدامه في الأنشطة الاقتصادية أو لغرض التجارة؛ لذا نظم بعض ملوك السودان في منطقة حوض نهر السنغال حملات عسكرية ضد بعض الشعوب والقبائل السودانية بهدف الحصول على حاجتهم من العبيد لاستخدام بعضهم في المجال الزراعي، وبيع البعض الآخر للتجار، بل كان ذلك دأب مختلف حكام الممالك السودانية، فكان ملك جاو ذا قوة كبيرة، ودخل في حروب عدة مع مجاوريه من الممالك المحيطة[٢]، ولهذا كان الرقيق أحد السلع التي صدرتها جاو[٣].

---

(1) Okpoko: Op.cit, pp.48-49.

(٢) البكري: مصدر سابق، ص ١٨٣؛ الإدريسي: مصدر سابق، ج١، ص ٢٨.

(٣) كان يوجد في وسط مدينة جاو ساحة كبرى يعقد فيها سوق مرة في الأسبوع، كان يباع فيه عدد لا يحصى من الرقيق ذكورًا وإناثًا بأثمان بخسة، انظر، الوزان، الحسن: وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢،

وإذا كان تصدير الرقيق من جاو إلى الشمال الأفريقي أمر مؤكد من خلال المصادر؛ فإن تقارير الحفائر الآثارية لم تعط شواهد بشأنها، فأركيولوجيا تجارة الرقيق توفر معطيات تساهم في تأويل الموضوع على مستوى تاريخ السكن والإعمار، وما يرتبط بذلك من تبعات ديموغرافية[١]. ولما كانت جاو محطة تصدير لسلع بلاد السودان، فإنها استقبلت أعدادًا من الرقيق السوداني من عدة ممالك وأقاليم مجاورة، وبالتالي لم تترك هذه التجارة تأثيرات واضحة على البنية الديموغرافية لمدينة جاو ذاتها. ويمكن تفسير هذا الأمر أيضًا، بقلة أعداد الرقيق في التجارة العابرة للصحراء، فعلى العكس مما تحملنا المصادر الإسلامية على الاعتقاد به، لم تكن تجارة الرقيق تحقق فائض الأرباح المنتظر، قياسًا بما يحيط بها من مخاطر ومشاق، بالرغم من أن تجارة الرقيق كانت نشاطًا أكيدًا، لكنها لم تكن الدافع الرئيس للتجار لعبور هذه المسافات، ومن المرجح أن الطلب السنوي على الرقيق كان محدودًا[٢]. وعمومًا تبقى أركيولوجيا تجارة الرقيق في بلاد السودان الغربي بحاجة ماسة إلى مزيد من التحقيقات الميدانية في الحقول والغابات ومنازل الفلاحين، وأماكن تواجدهم[٣].

١٩٨٣، ج٢، ص ١٦٩؛ كربخال، مارمول: أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٨٩، ج ٣، ص ٢٠٥.

[١] ديوب، إبراهيم: "مدخل إلى أركيولوجيا تجارة الرقيق"، في روبير فيرني (محرر): الأركيولوجيا في أفريقيا الغربية الصحراء والساحل، ترجمه عن الفرنسية: بوبة ولد محمد نافع، نواكشوط، ٢٠٠٢، ص ٣١٥.

[٢] دُفيس .ج: التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤، ج٣، ص ٤٢١.

[٣] ديوب، إبراهيم: مرجع سابق، ص ٣١٥.

تبين من خلال هذا العرض أن صادرات جاو تركزت في الذهب والعاج والرقيق. وإذا كانت المصادر قد أسهبت في الحديث عن سلعتي الذهب والرقيق، فإنها لم تقدم سوى إشارات مقتضبة عن تجارة العاج. وعلى العكس ثبت من خلال تقارير الحفائر، أهمية تصدير العاج من مدينة جاو، بينما لم تقدم هذه التقارير الكثير من الأدلة بشأن سلعتي الرقيق والذهب. هذا بالنسبة لصادرات جاو عبر الصحراء، فماذا عن وارداتها؟

٢- واردات جاو:

استوردت جاو عددًا من السلع المتنوعة عبر الصحراء، وتعبر هذه السلع عن الحاجات الاستهلاكية المهمة لأهل السودان الغربي خلال فترة هذا البحث، وأول هذه السلع الزجاج.

أ- الزجاج:

يأتي الزجاج في مقدمة الواردات التي كشفت عنها تقارير الحفائر في موقعي جاو القديم، وجاو ساني، بل وفي عدد من المواقع الأخرى بغربي أفريقيا، فمنذ منتصف القرن الثالث للجرة/التاسع للميلاد أصبحت جاو تمثل أهم مستورد للزجاج الإسلامي في السودان الغربي، وأهم موزع له بفضل التجارة عبر الصحراء، حيث استوردت كميات كثيرة من الزجاج من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الرابع إلى السادس للهجرة [١].

[١] Insoll: «Islamic Glass from Gao», P.77.

والسؤال الذي يفرض نفسه لماذا احتل الزجاج والمصنوعات الزجاجية هذه الأهمية ضمن واردات جاو عبر الصحراء؟ أو بالأحرى: فيمَ استخدم الزجاج في بلاد السودان الغربي حتى يحظى بهذا الطلب الكثير؟

وتقتضي الإجابة عن هذا السؤال، تصنيف المصنوعات الزجاجية من حيث أهميتها المترتبة على استخداماتها. والراجح أن استخدام الزجاج كوسيلة للتعامل التجاري يأتي في مقدمة الأسباب التي دفعت التجار إلى حمله لهذه المسافات الطويلة، فيذكر مؤلف مجهول من أهل القرن الرابع للهجرة أن تجار مصر اشتروا الذهب السوداني مقابل الزجاج، بل إنهم كانوا يرجعون بنفس وزنه ذهبًا[١]. أما ابن بطوطة، فعند زيارته لمملكة مالي عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م أكد أن المسافر إلى هذه البلاد لا يحمل زادًا ولا دينارًا ولا درهمًا، وإنما يحمل قطع الملح وحُلي الزجاج[٢]. ومن هنا يتبين استخدام الزجاج كوسيلة تعامل تجاري، وقد شاع هذا في بلاد الكانم أيضًا في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد حيث استخدم الخرز الزجاجي، جنبًا إلى جنب مع مجموعة متنوعة من وسائل التعامل التجاري الأخرى[٣].

ويستشف من استقراء المصادر استخدام الخرز الزجاجي لأغراض الزينة، ففي منتصف القرن السادس للهجرة، ذكر الإدريسي أن أهل غانة تزينوا بالخرز والنظم من

---

[١] حدود العالم، ص ٢٠٥.

[٢] تحفة النظار، ج٤، ص ٢٤٨.

[٣] Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 81.

الزجاج[١]. وكان شغف السودانيين باقتناء الخرز الزجاجي دافعًا قويًا للتجار المسلمين لحمله عبر الصحراء إلى بلاد السودان، لا سيما منطقة منحنى نهر النيجر بدءًا من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد، ساعد على هذا شيوع الثقافة المادية التي تهتم بزينة الجسد، فاهتم السودانيون بالحصول على الخرز الزجاجي والسلاسل المصنوعة من هذا الخرز، وأنواع العقيق المقلدة المصنوعة من الزجاج، وحبات المرجان، والأصداف البحرية، والودع. وكانت الطبقة العليا الأكثر طلبًا لهذه السلع[٢].

ولما كان الخرز من مقتنيات الطبقة العليا ببلاد السودان، فإن هذا يتفق مع ما أوردته المصادر بأن مدينة جاو كان يسكنها الطبقة الحاكمة، ومن ارتبط بها من الأمراء والأعيان، إضافة إلى التجار الأثرياء الذين اختاروا سكنى هذه المدينة بحكم موقعها المتميز[٣].

---

[١] نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٠.

[2] Ogundiran, Akinwumi: «Of Small Things Remembered: Beads, Cowries, and Cultural Translations of the Atlantic Experience in Yorubaland», The International Journal of African Historical Studies, Vol. 35, No. 2/3 (2002), PP.432-433.

[٣] المهلبي، أبو محمد الحسن: الكتاب العزيزي المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه تيسير خلف، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٥٥؛ الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مجلد ٤، ص٤٩٥؛ الإدريسي: مصدر سابق، ج١، ص٢٨.

ومما يؤكد الإقبال المتزايد على شراء الخرز الزجاجي لأغراض الزينة[1] ما كشفت عنه تقارير الحفائر في جاو، إذ عثر على مائتين وأربع وستين قطعة من حبات هذا الخرز في موقع جاو القديم، ويؤرخ معظم هذا الخرز بالفترة الثالثة الموافقة للقرنين الخامس والسادس للهجرة، حيث يعود لهذه الفترة وحدها عدد مائتين وثماني عشرة

[1] لعل النظر في نتائج الحفريات في عدد من المواقع بغربي أفريقيا، يؤكد أهمية الخرز الزجاجي في سلع التجارة عبر الصحراء، فقد شاع استخدام هذا الخرز لدى السلطة الحاكمة في مملكة إيفي Ile-Ife بأرض اليوروبا، حيث اقتنى أفراد العائلة المالكة أنواعًا مختلفة من الخرز الأزرق، والخرز الزجاجي الشفاف ذي اللون الأزرق والأخضر، وعثر على الكثير من هذا الخرز في موقع إيل إيفي ويرجع تاريخ هذه المكتشفات إلى الفترة ما بين القرنين ٢-٤هـ/٨-١٠م. كما عثر على الخرز الزجاجي في مواقع أخرى ببلاد السودان، منها ما اكتشف في موقع أويو القديمة في نيجيريا، وفي موقعي كومبي صالح، وتغداوست بموريتانيا عبر فترات زمنية تمتد من القرن ٣-١٢هـ/ ٩-١٨م:

Ogundiran: Op.cit, PP. 432-434, Insoll, and Shaw, Thurstan: Op.cit, 14, 16.

كما عثر على عدد كثير جدًا من الخرز الزجاجي والعقيق في موقع إيبو أوكو، جنوبي نيجيريا، قدر بمائة وخمس وستين ألف قطعة. واكتشف بعض الخرز في موقع تاندو هوسوبيا Tando Husubiya في منطقة بنتيا Bentyia، على بعد مائة كيلو متر جنوب جاو، وتعود هذه المكتشفات إلى الفترة الثالثة الممتدة منذ بداية الألفية الأولى للميلاد حتى عام ٥٩٦هـ/١٢٠٠م. وعثر في موقع بيلمبيري بيرو Bilimbiri Bero في منطقة بنتيا، على بعض أدوات الزينة المصنوعة من الزجاج، ومنها الخرز الزجاجي، كانت نتاجًا للصلات التجارية عبر الصحراء، وترجع إلى الفترة الرابعة الممتدة بين عامي (٥٩٦- ١٠٠٩هـ/١٢٠٠-١٦٠٠م)، يرجع إلى:

Arazi, Noémie: «An Archaeological Survey in the Songhay Heartland of Mali», Nyame Akuma, No. 52, December (1999), P.37. Insoll, and Shaw, Thurstan: Op.cit, p. 20, Farias, Paulo: «Bentyia (Kukyia): A Songhay–Mande Meeting Point and a "Missing Link" in the Archaeology of the West African Diasporas of Traders», Warriors, Praise Singers, and Clerics, Afriques, No. 4, (2013), PP. 6-7.

خرزة[١]. كما اكتشفت اثنتا عشرة قطعة خرز مماثلة في الموقع المجاور جاو-ساني[٢]. كما عثر في الموقع الأخير على آثار غرفتين يحويان كمية كثيرة من السلع الفاخرة، ومنها الخرز الزجاجي، وباستخدام الكربون ١٤ تم تحديد زمن استيراد هذه السلع، ووصولها إلى جاو بالفترة الممتدة من القرن الرابع إلى السابع للهجرة[٣].

ولم تقف استخدامات الزجاج عند أغراض الزينة، أو استخدامه للتبادل التجاري، وإنما أقبل أهل جاو، وأهل السودان الغربي عامة، على شراء المصنوعات الزجاجية، لأغراض الاستخدام المنزلي، لا سيما الأواني الزجاجية المعدة لأغراض الطعام والشراب، والتي عدت من أهم السلع التي استوردتها جاو من العالم الإسلامي[٤]، إذ اكتشف ثلاثة أواني زجاجية في موقع جاو، تعود للقرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد[٥]. كما عثر على أواني طبخ زجاجية في مواقع باتو هونديا Bato Hondia، ودجيرا هونديا Djira Hondia على بعد ١,٦ كم شمال شرقي بلدة أنسونجو Ansongo التابعة لمدينة جاو، وتعود هذه الأدوات إلى الفترة الرابعة الممتدة

(1) Insoll, and Shaw, Thurstan: Op.cit, P.14.

(2) Ibid, p. 20, Heddouchi, Choukri: For a Dar Islamic Archaeology: Egypt and West Africa and the Limits of Islamic Archaeology, PhD, Department of Near Eastern Languages and Civilizations, The University of Chicago, March 2012, P.60.

(3) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, PP.14, 15.

(4) Insoll: «Islamic Glass from Gao», P. 88, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 562.

(5) Insoll: «Islamic Glass from Gao», P.80.

بين عامي (٥٩٦- ١٠٠٩هـ/١٢٠٠-١٦٠٠م)[١]. واكتشف بعض شقف الأطباق الزجاجية ذات الجوانب المزخرفة في موقعي جاو القديم، وجني جينو Jenne-Jeno، يرجع تاريخها إلى المرحلة الممتدة بين عامي (٢٨٧- ٨٠٣هـ/٩٠٠- ١٤٠٠م)، وتأكد تشابه المواد المكتشفة في الموقعين[٢].

وعثر على بعض المصنوعات الزجاجية من الثريات متعددة المصابيح لأغراض الإنارة، فقد وجدت ست شظايا لثريات زجاجية صفراء اللون في موقع جاو القديم يعود تاريخها إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادي عشر للميلاد[٣].

واستخدم الزجاج أيضًا في بناء بعض القصور، والمنازل، وزخرفة نوافذ المنازل[٤]. ومما يبرهن على أهمية الزجاج في هذا الصدد ما أورده الإدريسي عن ملك غانة الذي بنى قصره عام ٥١٠هـ/١١١٦م وزينه بالزخارف وشمسيات الزجاج[٥].

---

(1) Arazi: Op.cit, PP. 35-36.

(2) Mcintosh, Susan Keech: "Conclusion the Sites in Regional Context", in Mcintosh, Susan Keech (Editor): Excavations at Jenne-Jeno, Hambarketolo and Kaniana (Inland Niger Delta Mali), the 1981 Season, University of California Press, Los Angeles, 1995, PP. 369-370, 380.

(3) Insoll: «Iron Age Gao», P. 14, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 562.

(4) Insoll: "Timbuktu and Europe", P. 478.

(٥) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٣؛ إبراهيم، عبد الله: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١، ص ٤٢٤.

واستخدمت الأوزان المصنوعة من الزجاج في وزن الذهب، بدليل العثور على هذه الأوزان في موقع جاو القديم وفي مواقع مختلفة بغربي أفريقيا[١].

سجلت تقارير الحفائر أيضًا اكتشاف بعض بقايا لمصنوعات زجاجية متنوعة، حيث عثر على مائة وست وستين قطعة من شظايا الزجاج المستورد، منها مائة وتسع وأربعون، عثر عليها خلال الحفائر في موقع جاو القديم ترجع للفترة الثالثة، المؤرخة بالقرنين الخامس والسادس للهجرة، واكتشفت سبع عشرة قطعة من هذه الشظايا في موقع جاو ساني[٢]. وهكذا وفرت الحفائر في موقع جاو ساني مجموعة وفيرة من الأدلة الخاصة باستيراد الزجاج[٣].

ورغم تأكيد تقارير الحفائر على تناثر الزجاج في مختلف مواقع الحفر وفي مختلف مستوياته بغربي أفريقيا، لم تبرز المصادر الإسلامية – إلا في إشارات قليلة – أهمية السلع المصنعة من الزجاج في المبادلات التجارية عبر الصحراء، ومدى إقبال السودانيين على اقتنائها[٤]. وباستقراء المعطيات التي تطرحها المصادر يتبين انفراد ابن بطوطة بذكر أهمية الخرز والحلي الزجاجية كسلعة عرفت إقبالاً شديدًا من طرف السودانيين، عندما ألمح إلى أن المسافر إلى هذه البلاد يكفيه حمل قطع الملح وحلي

---

(1) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.45.

(2) Ibid, P. 66.

(3) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.10.

(٤) ولد الحسين، الناني: صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢٩١.

الزجاج عوضًا عن الطعام والمال[١]. وبرهن ابن بطوطة عمليًا على صحة ما ذهب إليه، حينما أكد أنه ورفقته اشتروا ما احتاجوا إليه من طعام، مقابل الحلي الزجاجية والملح والعطور، في طريقهم بين تنبكت وجاو[٢]. ولعل تفرد ابن بطوطة بذكر هذه الأهمية للخرز والحلي الزجاجية، كونه رحالة قصد بلاد السودان بالسفر؛ ومن ثم كان عليه أن يعد عدته لهذا السفر، ويأخذ بالوسائل التي تعينه في سفره، فجمع معلومات دقيقة من التجار الذين اعتادوا السفر إلى بلاد السودان، بعكس من كتبوا عن هذه البلاد دون أن يزوروها. على أية حال فقد تنبه أصحاب المصادر الإسلامية أخيرًا خلال القرن الثامن للهجرة لأهمية الزجاج في التبادل التجاري عبر الصحراء، وبدأ التخلص تدريجيًا من فكرة الملح مقابل الذهب، وهو ما لم يكن من السهل تخيله لولا تقارير الحفائر الآثارية، التي أثبتت أهمية سلع أخرى في التجارة عبر الصحراء، مثل الفَخَّار والخزف.

ب- الفَخَّار والخزف:

استوردت جاو الفخار والخزف عبر الصحراء وفقًا لتقارير الحفائر الآثارية التي أثبتت وجود تجمعات للفخار الأحمر في جاو ساني، وتجمعات أخرى مشابهة بالقرب من تنبكت، وبنتيا[٣].

---

[١] تحفة النظار، ج٤، ص ٢٤٨.

[٢] المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٢٧٠.

[3] Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P. 32.

فقد اكتشف بعض شقف الفخار في موقع جاو ساني، يرجع إلى الفترة الممتدة ما بين عامي (٨١- ٤٩٤هـ/٧٠٠- ١١٠٠م)[١]. أيضًا عثر على ثلاثين قطعة من الفخار المزجج المستورد خلال الحفائر في جاو يعود بعضه إلى القرنين الخامس والسادس للهجرة[٢].

وأثبتت الكشوف الآثارية التي أجراها ريمون موني في مواقع ساني، وجاو، وتادمكة، وكومبي صالح، وتكدة، وأودغست، الكشف عن بقايا الفخار المستورد[٣]. وعثر في موقعي جاو القديم، وجاو ساني على شقف فخار مستورد يرجع تاريخه للفترة الممتدة من القرن الرابع إلى السادس للهجرة[٤].

كما اكتشف الفخار والخزف ذو البريق المعدني في موقعي جاو القديم، وجاو ساني، يرجع تاريخه الى القرنين الخامس والسادس للهجرة، فعثر على إحدى عشرة قطعة من هذا الخزف في موقع جاو القديم، وسبع قطع مماثلة في موقع جاو ساني[٥].

---

(1) Ibid, P.19.

(2) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 64, Insoll: "Timbuktu and Europe", P. 481.

(3) Mauny, Raymond: «Découverte à Gao d'un Fragment de Poterie émaillée du Moyen âge Musulman», Hesperis: Archives Berbères et Bulletin de L'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Librairie Larose, Paris, (1952), XXXIX, P.516.

(4) Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, PP.13-14, Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P. 335.

(5) Heddouchi: Op.cit, PP.66-67.

وقد تمكن المتخصصون من التمييز بين الصناعات الفخارية والخزفية المنتجة محليًا، والمستورد منها عبر الصحراء، فالخزفيات المجلوبة من الشمال تميزت عن المنتجة محليًا بإتقانها وتعقد زخرفتها وطلائها، وهي تنقسم إلى شكلين: خزفيات مغطاة بطلاءٍ أبيض، وأخرى مبرنقة. ونتيجة لكثرة شظايا هذه الأشكال في المواقع المختلفة بالصحراء وبلاد السودان، تبين أهمية الفخار والخزف في التجارة العابرة للصحراء، وأن وصولها من مناطق بعيدة بالرغم من هشاشتها وثقل وزنها يؤكد تزايد الطلب عليها، وكثرة أرباحها التي حملت التجار على المغامرة بنقلها لمسافات طويلة[١].

والغريب أن المصادر الإسلامية لم تورد أية إشارة حول تجارة الفخار والخزف عبر الصحراء، وربما يفسر هذا بتركيز هذه المصادر على السلع ذات القيمة الاقتصادية الكبرى مثل الذهب والعبيد والملح. ويرجح البعض أن السبب قد يكمن في ضآلة المنتجات الفخارية المصدرة مقارنة مع مثيلاتها الأخرى، وهذا ناتج عن صعوبة نقل هذه المنتجات عبر الصحراء نتيجة هشاشتها[٢]، أو أن هذه المنتجات كانت تأتي إلى جاو بناء على طلب أبناء الطبقة العليا في الغالب.

---

[١] ولد الحسين، الناني: مرجع سابق، ص ٢٩١.

[٢] تاوشيخت، لحسن: سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، تطوان، ١٩٩٨، ص ٢٣٤.

على أي الأحوال، فالأدلة الآثارية كانت كفيلة بإثبات وجود الفخار والخزف ضمن السلع التي استوردتها جاو عبر الصحراء، وأثبتت الأدلة ذاتها وجود الأحجار الكريمة ضمن واردات جاو أيضًا.

ج – الأحجار الكريمة:

تعددت استخدامات الأحجار الكريمة في مدينة جاو وبلاد السودان الغربي بوجه عام، فبالإضافة إلى استخدامها كحلي، استخدمت أيضًا لأغراض علاجية، مما منحها قيمة عالية بين طبقات المجتمع كافة، فمن المعروف ولع السودانيين بأدوات الزينة من الحلي الزجاجية والأحجار الكريمة.

ومما يؤكد الإقبال على شراء الأحجار الكريمة، تأكيد البكري خلال القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد على حمل التجار لهذه السلعة إلى الممالك السودانية، لا سيما مملكة غانة، وأن هذه الأحجار عُدت من أنفس الأشياء ببلاد السودان الغربي، ودفع السودانيون أثمانًا باهظة فيها[١]. وأشار الإدريسي إلى قيمة هذه الأحجار بعد قرن مما ذكره البكري، بقوله: "يوجد أيضًا بساحل هذا البحر (يقصد المحيط الأطلسي) حجارة كثيرة ذات ألوانٍ شتى وصفات مختلفات يتنافسون في أثمانها ويتوارثونها بينهم ويذكرون أنها تتصرف في أنواع من العلاجات الطبية الفاعلة... ومثل هذه الحجارة عندهم كثير وهم بالرقى عليها مشهورون وبه معروفون" [٢]. ووفقًا للقزويني

[١] المغرب، ص ١٨٢؛ مجهول: الاستبصار، ص ٢٢٤، ٢٢٥؛ إبراهيم، عبد الله: مرجع سابق، ص ٤٧٨.

[٢] نزهة المشتاق، ج١، ص ١٠٤، ١٠٥.

(توفي٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، أقبلت نساء التكرور على شراء الخرز العقيق لأغراض الزينة، فكن ينظمنه في خيوط، أما الفقيرات منهن فكن ينظمن خرزات العظم في الخيوط بدلاً من العقيق[١]. وهو أمر يؤكد ارتفاع ثمن العقيق، وأنه كان من مقتنيات الأثرياء، ومن ثم حقق أرباحًا كثيرة للتجار.

واتفاقًا مع تلك الإشارات المصدرية، أكدت حفائر جاو وجود الأحجار الكريمة، وبينما تحدث البكري في منتصف القرن الخامس للهجرة عن وجود بعض الأحجار الكريمة التي تشبه العقيق، في التجارة بين تادمكة وغدامس[٢] أثبتت تقاير الحفائر وجود الأحجار الكريمة من نوع اليشب أو اليشم التي تتخذ للزينة وجلب الحظ، في موقع بوادي النيجر يقع إلى الجنوب من جاو[٣].

كما أثبتت الحفائر أيضًا وجود العقيق من النوع الأحمر والبرتقالي الذي يسمى كارنيليان الذي عثر عليه في منطقة تسمى جانجابير Gangaber في وادي تيلمسي Tilemsi إلى الشمال من جاو[٤]. كما اكتشفت عشرون قطعة من العقيق الأحمر، وأحجار الجرانيت في موقع جاو ساني[٥]. وقد استقدمت هذه الأحجار عبر الصحراء[١]،

---

[١] آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٦.

[٢] المغرب، ص ١٨٢؛ مجهول: الاستبصار، ص ٢٢٤، ٢٢٥؛ إبراهيم، عبد الله: مرجع سابق، ص ٤٧٨.

[3] Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 81.

[4] Ibid, P. 81.

[5] Insoll, Timothy and Others: «Towards an Understanding of the Carnelian Bead Trade from Western India to Sub-Saharan Africa: the Application of UV-LA-ICP-

وكانت جاو مركزًا رئيسًا لاستيراد هذه السلع بل وتصديرها إلى دواخل بلاد السودان في الجنوب[٢]. وبهذا يتبين اتفاق المصادر الإسلامية، وكذا تقارير الحفائر على أهمية الأحجار الكريمة في التجارة عبر الصحراء.

د – النحاس:

استخدم النحاس لأغراض الزينة في بلاد السودان الغربي، فيشير المنجم (توفي في القرن ٤هـ/١٠م) إلى أن السودانيين صنعوا الحلي من النحاس لتتزين به النساء، وأنهم فضلوه على الذهب[٣]. أما الإدريسي فقد أكد أهمية النحاس الأحمر والملون في التجارة عبر الصحراء خلال القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد[٤].

وجدير بالملاحظة أن التجار المسلمين استثمروا إقبال السودانيين على شراء الحلي النحاسية فتاجر بعضهم فيها، وهو ما أكده المالكي (توفي ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) في

MS to Carnelian from Gujarat India and West Africa», Journal of Archaeological Science, No.31, (2004), PP. 1161, 1164, Insoll: "Timbuktu and Europe",P. 479.

(1) Cisse, McIntosh, and others: Op.cit, P.29.

(2) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.81.

(٣) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص١٠٣، ١٠٤.

(٤) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٣٢؛ الحميري: مصدر سابق، ص ٤٦.

أثبتت المصادر الإسلامية استمرار أهمية النحاس في التجارة عبر الصحراء خلال الفترة ما بين القرنين ٧-٩ هـ، انظر، القزويني: مصدر سابق، ص ١٩؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، حققه أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٣٣، ١٣٤؛ الحميري: مصدر سابق، ص ٤٦؛ المنجد: مرجع سابق، ص ٢٤، ٢٥، ١١٠.

ترجمته لسكن بن سعيد الصائغ الذي كان يقوم بعمل السلاسل النحاسية ويطليها بماء الذهب ليبيعها في بلاد السودان[١].

وإذا كانت المصادر الإسلامية قد أثبتت أهمية النحاس في التجارة عبر الصحراء، فقد أكدت تقارير الحفائر أيضًا أهمية هذه السلعة في واردات جاو، إذ عثر على ست وستين سبيكة نحاسية في موقع جاو القديم، وست سبائك في جاو ساني، تعود هذه المكتشفات للفترة من القرن الرابع إلى السابع للهجرة[٢]. ويرجع لنفس الفترة الكشف عن أكثر من مائتي قطعة نحاسية في موقع جاو ساني[٣].

وباستخدام الكربون ١٤ تم التوصل إلى تحديد زمن استيراد بعض السلع الفاخرة في جاو، والتي تم الكشف عنها في موقع جاو ساني، حيث عثر على سيف حديدي مرصع بالنحاس، وبعض المواد المصنعة من النحاس، وكلها ترجع للفترة من القرن الرابع إلى السابع للهجرة[٤]. وبهذا سجلت تقارير الحفائر اتفاقها مرة أخرى مع معطيات المصادر، بشأن استيراد جاو للنحاس عبر الصحراء.

---

[١] رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ص١٨٢.

[2] Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 69.

[3] Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.32.

[4] Ibid, PP.14, 15.

هـ- الرصاص:

اكتشفت سبيكة واحدة من الرصاص في موقع جاو القديم. والراجح أن هذا الرصاص كان يستخدم لتخفيف المعادن، لا سيما النحاس، والفضة[١].

وعمومًا لا توفر الشهادات المصدرية أية أدلة بشأن استيراد جاو للرصاص، باستثناء إشارة واحدة أوردها مؤلف مجهول من أهل القرن الرابع للهجرة، أكد فيها أن الرصاص كان من بين السلع التي استوردتها بلاد السودان الغربي[٢].

و- السلع الغذائية:

تعد السلع الغذائية من واردات جاو عبر الصحراء، وإن جاءت الأدلة الآثارية بشأنها نادرة جدًا، إذ لم يكن التجار على استعداد للمغامرة بحمل هذه السلع؛ لطول الرحلة الذي كان يتسبب في فسادها، فالعمري يؤكد أن شدة الحرارة كانت تؤدي لفساد الأطعمة خلال يومين فقط في مملكة مالي[٣]. وثمة سبب آخر يتمثل في أن السودانيين لم يهتموا بجلب السلع الغذائية الفاخرة، ولا بفنون طهي الطعام كما هو حال بلاد المشرق والمغرب الإسلامي، فكان طعام السودانيين بسيطًا، اعتمد على معطيات البيئة

---

[١] مجهول. حدود العالم، ص ٢٠٥.

Insoll: Islam Archaeology, and History Gao, P.69.

[٢] مجهول. حدود العالم، ص ٢٠٥.

Insoll: Islam Archaeology, and History Gao, P.69.

[٣] مسالك الأبصار، ج٤، ص ٥٤.

المحلية، وعلى ثقافات السودانيين وعاداتهم وتقاليدهم، لذا لم يكن غريبًا أن يستنكر ابن بطوطة طعام الضيافة الذي قدم له من طرف ملك مالي منسا سليمان[١].

بيد أن تقارير الحفائر في مدينة جاو أثبتت استيراد هذه المدينة لبعض السلع الغذائية، ومنها التمر الذي اكتشفت بعض بقاياه. وقد حملت القوافل التجارية التمر إلى بلاد السودان لا سيما أن أشجار النخيل لم تكن تزرع في جاو[٢]. وهو ما يتفق مع ما أوردته المصادر، فوفقًا للإدريسي كان التمر ضمن واردات جاو عبر الصحراء[٣].

كما اكتشفت بقايا نباتات طبية في حفائر جاو، ومنها نبات الهجليج[٤] المصري الذي استوردته جاو[٥]، ووفقًا لناصر خسرو (توفي٤٨١هـ/١٠٨٨م) يعد البليلج (الأهليلج) من أشهر الفواكه والرياحين بمصر[١].

---

[١] تحفة النظار، مجلد ٤، ص ٢٥٥.

Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 565.

[2] Ibid, P. 562.

[٣] نزهة المشتاق، ج١، ص ٣١٢؛ ليفيتسكي، تاديوز: دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤، المجلد الثالث، ص ٣١٧.

[٤] الهجليج من النباتات التي استخدمت في الطب الشعبي في مصر والهند قديمًا، حيث كان يعالج العديد من الحالات المرضية كعلاج السكر، والصرع، وكملين، ولعلاج عدد من الأمراض العقلية، والملاريا، وكطارد للديدان، وقرحات الحلق، والزهري. وقد استخدم كغذاء في غرب أفريقيا حيث تؤكل أوراقه نيئة، هذا بالإضافة إلى الاستخدامات الطبية، لا سيما علاج الصداع، وتحسين الرضاعة للأمهات، وكعلاج للسهام السامة، انظر: نظير، وليم: الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص٩٤.

[5] Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 566.

ز- الملابس والأقمشة:

تعد الملابس والأقمشة من السلع المهمة التي استوردتها جاو، ولكن بينما تحدث الجغرافيون والمؤرخون والرحالة عن الأقمشة والملابس التي حملها التجار المسلمون لبلاد السودان، غابت هذه السلعة عمليًا في تقارير الحفائر الآثارية في مختلف المواقع، ويفسر هذا بأن الأقمشة والمنسوجات من السلع سريعة التلف، ولا يمكن بقاؤها لفترات طويلة بعكس الزجاج والمواد الصلبة الأخرى[٢].

وعمومًا توفر الشهادات المصدرية عدة أدلة بشأن رواج تجارة الملابس والأقمشة عبر الصحراء، فالبيروني (توفي٤٤٠هـ/١٠٤٨م) أكد ولع السودانيين بهذه الملابس[٣]. وبحسب إشارة الزهري (عاش في النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م) استوردت جاو الحرير وثياب الخز والكتان[٤]. أما الإدريسي (توفي٥٦٠هـ/١١٦٤م) فقد تحدث عن استيراد بلاد السودان الغربي للأكسية وثياب الصوف، والعمائم، والمآزر[٥].

---

[١] سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣، ص ١١٨.

[٢] Heddouchi: Op.cit, PP.71-72.

[٣] الجماهر في معرفة الجواهر، ص٢٤١.

[٤] كتاب الجغرافية، ص ١٢٣- ١٢٤.

[٥] نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٣٢؛ الحميري: مصدر سابق، ص ٤٦.

وتؤكد كتب المناقب أهمية الملابس في التجارة العابرة للصحراء، فقد أورد التادلي (توفي٦٢٧هـ/١٢٢٩م) ترجمة للفقيه أبي الربيع سليمان (توفي٥٧٩هـ/١١٧٩م) الذي أعطى أحد التجار بعض الأردية ليبيعها له في بلاد السودان[١].

ثالثًا- الصلات التجارية لمدينة جاو:

أكدت صادرات جاو وارداتها على تنوع صلاتها التجارية، ما بين بلاد المغرب الإسلامي، ومصر، وبلاد الشام، والأندلس، والصين والهند، فضلاً عن صلاتها بالمراكز التجارية داخل بلاد السودان الغربي[٢].

ومما أعان جاو على الاتصال بمراكز التجارة المهمة في الشمال، وجود بعض الطرق التجارية عبر الصحراء، فكان هناك طريق يتجه شمالاً من جاو إلى تادمكة، ثم عبر واحة ورقلة إلى القيروان، ثم إلى مراكز أخرى في بلاد المغرب. وهناك طريق رئيس ثانٍ اتجه من جاو إلى تادمكة، ثم عبر غدامس، وطرابلس إلى مصر. كما كان هناك طريق من مدينة كومبي صالح عاصمة مملكة غانة إلى مصر، مرورًا بجاو ومرندة[٣].

---

[١] التشوف إلى رجال التصوف، حققه أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٨٤، ص ٢٨١، ٢٨٢.

[2] Insoll: «Islamic Glass from Gao», P. 88, Maclean, Rachel, Insoll Op.cit, P. 562.

[٣] ابن الفقيه. كتاب البلدان، ص ١٢٣.

Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.63.

١- الصلات مع بلاد المغرب:

تعد الصلات مع بلاد المغرب الإسلامي بأقسامه المختلفة، ومصر، من أبرز الصلات التجارية الخارجية لجاو، وتركت هذه الصلات أثرها المهم على بلاد المغرب، ومصر، فضلًا عما تركته من آثار على أهل جاو الذين وصفهم الزهري بالثراء الشديد، وكثرة المال، والثياب. وفسر هذا الثراء تفسيرًا في غاية الأهمية، حيث قال: " لأنهم ما بين مصر والمغرب "[١].

والسؤال الذي يفرض نفسه: ما هي السلع التي غامر التجار المغاربة بهدف الحصول عليها من مدينة جاو؟

حسب الإشارات المصدرية كان الذهب محل اهتمام التجار المغاربة، فكان بديهيًا أن يحطون رحالهم في مدينة جاو نتيجة مركزها المتميز في التجارة عبر الصحراء، لا سيما أن هذه المدينة أسهمت بدور فعال في الوساطة بين مناطق إنتاج الذهب، والتجار الذين حملوه إلى بلاد المغرب الإسلامي[٢]. فالبيروني يشير إلى حمل تجار سجلماسة، بعض السلع الفاخرة، وسفرهم لبلاد السودان، وذلك بهدف الحصول على الذهب[٣]. أما

---

[١] كتاب الجغرافية، ص ١٢٤.

[٢] Farias: «The Oldest Extant », P. 9.

[٣] الجماهر في معرفة الجواهر، ص ٢٤١.

الإدريسي فقد أشار إلى سفر تجار المغرب لبلاد السودان للحصول على هذه السلعة الثمينة[١].

ووفقًا لتقارير الحفائر، استورد المغاربة العاج من مدينة جاو، فالعاج الذي تم الكشف عنه في هذه المدينة، بالإضافة إلى العاج المكتشف في الإيبو أوكو، تم نقله عبر الصحراء من جاو إلى بلاد المغرب الإسلامي التي اشتهرت بتصنيع العاج، الذي جلب بعضه من التجارة عبر الصحراء[٢].

ولكي يتسنى للتجار المغاربة الحصول على هاتين السلعتين المهمتين، كان عليهم أن يحملوا السلع التي لاقت قبولاً وطلبًا متزايدين في بلاد السودان الغربي، وحتى يتيسر لنا تتبع صلات مدينة جاو ببلاد المغرب الإسلامي من خلال الصادرات المغربية إلى هذه المدينة فسوف نميز بين صلات جاو مع بلاد المغرب الأدنى، وصلاتها مع بلاد المغرب الأقصى.

أ- صلات جاو مع المغرب الأدنى:

اكتشفت بعض السلع في حفائر جاو، يرجح أن مصدرها بلاد المغرب الأدنى، ومن هذه السلع العقيق الأحمر، حيث عثر على عشرين قطعة من هذا العقيق في موقع جاو ساني. ومن المعروف أن العقيق الأحمر كان من السلع التجارية المهمة في كل

---

[١] نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٤، ٢٥.

[2] Insoll, and Shaw, Thurstan: Op.cit, PP. 18, 20.

من گجرات الهندية، وفزان الليبية[١]، وهو أمر يؤكد أن جاو كانت أحد المشاركين المؤثرين في التجارة الإقليمية، والتجارة عبر الصحراء. ونرجح أن هذا العقيق وصل إلى جاو عبر طريق التجارة الشرقي.

وتؤكد الشواهد الآثارية صلة جاو ببلاد إفريقية التونسية، فقد عثر على ثلاث شظايا لقطع زجاجية مشابهة لما أنتج في القيروان في القرنين الرابع والخامس للهجرة. كما وجدت قطعتان من الشظايا الزجاجية ذات الطلاء الملون على غرار ما أنتج في إفريقية، ترجعان للقرن الخامس للهجرة[٢]. كما وجدت منتجات زجاجية ترجع للقرنين الخامس والسادس للهجرة مشابهة لما كان ينتج في القيروان[٣]، فأحد شظايا هذه المنتجات عبارة عن جزء من إناء زجاجي صغير سداسي الأوجه، وهو يماثل تمامًا تلك الأواني والقوارير الزجاجية سداسية الأوجه التي عثر عليها في القيروان منذ القرن الثاني للهجرة[٤]. ويحتمل أن تجار الإباضية نقلوا هذه السلع إلى بلاد السودان، فقد كانت هنك صلات تجارية ودبلوماسية بين تاهرت الرستمية ومدينة جاو خلال هذه الفترة.

وبالإضافة إلى الزجاج، تبين استيراد جاو للفخار المزجج من إفريقية، ومن عدة مناطق مختلفة من العالم الإسلامي[٥]. كما اكتشفت أكثر من مائتي قطعة نحاسية في

---

(1) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.29.

(2) Insoll: «Iron Age Gao», P.14, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 562.

(3) Insoll: «Islamic Glass from Gao», PP.80-82.

(4) Ibid, P. 82.

(5) Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, P.14.

موقع جاو ساني[١] تعود للفترة من القرن الرابع إلى السابع للميلاد[٢]، وتم تحليل تسع قطع منها، وثبت من خلال نتائج التحليل اعتماد هذا النحاس في تصنيعه على الرصاص، وهو مشابه جدًا للمنتجات النحاسية في مدينة السوق، ومرندة، والإيبو أوكو، ومشابه أيضًا للنحاس الذي كان ينتج في إفريقية التونسية، مما يرجح استيراد جاو للنحاس من الشمال من إفريقية عبر مرندة، ثم صدرته إلى الإيبو أوكو في الجنوب[٣].

وتقف هذه المكتشفات شاهدة على حدوث صلات تجارية بين جاو وبلاد المغرب الأدنى، لا سيما مع إفريقية، التي تراجعت أهميتها نسبيًا في التجارة عبر الصحراء منذ منتصف القرن الرابع للهجرة بعد انتقال الفاطميين إلى مصر[٤].

ب- صلات جاو مع المغرب الأقصى:

يعد المغرب الأقصى الشريك التجاري الرئيس لمدينة جاو، حيث دخل المغاربة هذه المدينة من مدينة سجلماسة[٥].

وكان الزجاج من بين السلع التي حملها تجار المغرب الأقصى إلى جاو بحسب الإشارات المصدرية، فالإدريسي يؤكد حمل تجار أغمات أنواعًا من نظم الزجاج إلى

---

(1) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.32.

(2) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 69.

(3) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.32.

(4) Ibid, P. 74.

(٥) الزهري: مصدر سابق، ص ١٢٣.

بلاد السودان الغربي خلال القرن السادس للهجرة[١]. وتؤكد القرائن المصدرية استمرار أهمية الخرز الزجاجي في المبادلات التجارية عبر الصحراء خلال القرون التالية[٢].

وتتفق الشواهد الآثارية مع ما أوردته المصادر، فقد أكدت المعالجة الكيميائية لبعض الخرز الزجاجي الذي عثر عليه في موقع جاو القديم، والذي يرجع للقرنين الرابع والخامس للهجرة، أن هذا الخرز يتميز بخصائص تصنيعية تتشابه مع ما كان يتم إنتاجه في العالم الإسلامي، لا سيما في بلاد المغرب الأقصى، ويتمثل وجه التشابه بين هذه المنتجات في اعتماد تصنيعها على مواد كالصودا، والرصاص بنسبة كثيرة، وعدم استخدام القصدير، فضلاً عن أن غالبية العينات التي تم تحليلها من الخرز المكتشف في موقع جاو ساني لها نسبة منخفضة من مادة الألومينا، على عكس منتجات الخرز في الهند والصين، التي تميزت بنسبة الألومينا العالية[٣].

وبالإضافة للزجاج، وصل الفخار المغربي إلى جاو، وهو ما أثبته ريمون موني من خلال الكشوف الآثارية في موقعي ساني، وجاو. وقد حدد موني مصدر هذا الفخار الذي تميز بطلائه الأخضر اللامع، وهو نفسه الذي كانت تنتجه ورش الفخار في مدن

---

[١] نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٣٢؛ إبراهيم، عبد الله: مرجع سابق، ص ٤٢٣.

[٢] ذكر القزويني أن تجار سجلماسة حملوا لبلاد السودان الغربي الخرز الزجاجي، والأساور والخواتم الزجاجية، والحلقان النحاسية، آثار البلاد، مصدر سابق، ص ١٩؛ المنجد. مملكة مالي، مرجع سابق، ص ٢٤، ٢٥. أما ابن الوردي فقد أشار إلى سفر تجار المغرب إلى بلاد التكرور بالخرز، خريدة العجائب، ص ١٣٣، ١٣٤. وأكد الحميري أن أكثر ما يسافر به تجار المغرب الأقصى إلى بلاد تكرور الواقعة شرقي جاو، النحاس، والخرز، الروض المعطار، ص ١٣٤ ؛ المنجد: مرجع سابق، ص ١١٠.

[3] Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.29.

فاس وتمكروت وتافيلالت[١] كما تتشابه تقنيات الصنع مع ما كانت تنتجه ورش فخار سجلماسة[٢].

ولا توفر المصادر الإسلامية أية أدلة بشأن هذه السلع، وإنما أكدت وجود سلع أخرى صدرها المغرب الأقصى إلى مدينة جاو، وبلاد السودان، لا سيما الثياب والأقمشة، ومنها ما كان يجلبه تجار سجلماسة، مقابل الحصول على الذهب[٣]. وأكد الإدريسي في القرن السادس للهجرة حمل تجار أغمات للأكسية وثياب الصوف، والعمائم، والمآزر، إلى بلاد السودان[٤]. وأشار الزهري خلال نفس القرن إلى استيراد جاو للملابس الحريرية والكتانية من المغرب، ومصر[٥].

٢- الصلات مع مصر وبلاد الشام:

استفادت مصر من الطريق التجاري الذي ربط بينها وبين بلاد السودان الغربي، وبحسب المصادر الجغرافية، كانت القوافل المصرية تقصد مدينة جاو لشهرتها التجارية[٦]، ووفقًا للأدلة الآثارية، حمل تجار مصر الفخار والزجاج ذي الطلاء

---

(1) Mauny: Op.cit, P.516.

(٢) تاوشيخت، لحسن: مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٣) البيروني: مصدر سابق، ص٢٤١.

(٤) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٣٢؛ الحميري: مصدر سابق، ص ٤٦.

(٥) كتاب الجغرافية، ص ١٢٣- ١٢٤.

(٦) ابن الفقيه: مصدر سابق، ص ١٢٣؛ ابن حوقل: مصدر سابق، القسم الأول، ص ٦١؛ الزهري: مصدر سابق، ص ١٢٣.

المعدني والخرز الزجاجي والرصاص إلى مدينة جاو إبان القرنين الخامس والسادس للهجرة [١]، وهي سلع لم تذكرها المصادر الإسلامية سواء الجغرافية أم التاريخية.

وبالرغم من عدم تحديد تلك المصادر لنوعية السلع المصرية، أكدت بعض المعطيات المصدرية وجود صلات تجارية بين مصر وبلاد السودان الغربي، منها وصف ابن الفقيه للطريق بين مصر وغانة، والذي ينتهي عند مدينة جاو عبر مرندة، فقال: " وإذا جاوزت بلاد غانة إلى مصر انتهيت إلى أمة من السودان يقال لها كوكو، ثم إلى أمة يقال لها مرندة "[٢]. وهو ما يعني ازدهار طريق التجارة الشرقي بين مصر وجاو مع نهايات القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، وهو الوقت الذي انتهى فيه ابن الفقيه من كتابة مؤلفه.

بيد أن وصف ابن حوقل (المتوفى عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م) لهذا الطريق خلال النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة، يبين تراجع النشاط التجاري بين مصر وجاو، حيث أشار إلى ما كان يعتري هذا الطريق من مخاطر، مثل تواتر الرياح على القوافل وإهلاكها، وهجوم اللصوص؛ مما أدى إلى هجران هذا الطريق إلى سجلماسة[٣].

---

(1) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P. 74.

(٢) كتاب البلدان، ص ١٢٣.

(٣) صورة الأرض، القسم الأول، ص ٦١.

وخلال القرن السادس للهجرة أخذت القوافل المصرية تستأنف نشاطها من جديد عبر طريق التجارة الشرقي بعد أن تم التغلب على المشاكل سابقة الذكر، فالزهري عند حديثه عن مدينة كوكو، يقول: " وإليها تدخل القوافل من أرض مصر ومن ورقلان"[١].

ومثلما اجتذب الذهب والعاج تجار المغرب الإسلامي للاستفادة من النشاط التجاري عبر الصحراء، أكدت بعض الإشارات المصدرية أهمية الذهب في المبادلات التجارية بين مصر والسودان الغربي عامة، وحرص التجار المصريين على الحصول على هذه السلعة الثمينة، فيؤكد مؤلف مجهول من أهل القرن الرابع للهجرة كثرة أحجار الذهب ببلاد السودان، واهتمام تجار مصر بشرائها[٢].

كما استوردت مصر العاج من جاو التي مثلت وسيطًا مهمًا للثروة التي حققها سكان الإيبو أوكو نتيجة تجارة العاج عبر الصحراء، حيث نقل هذا العاج من الإيبو إلى جاو، ومنها إلى مصر[٣].

---

[١] كتاب الجغرافية، ص ١٢٣.

استمرت شهرة الطريق التجاري الرابط بين مصر ومدينة جاو حتى القرن العاشر للهجرة، يؤكد هذا وصف الوزان (توفي٩٦٠هـ/١٥٥٢م) لأهل منطقة الواحات التي تقع في صحراء ليبيا على بعد مائة وعشرين ميلاً من مصر بأنهم أغنياء، ويعلل ذلك بوجودهم على طريق التجارة بين مصر وكاوكاو (جاو)، انظر، وصف أفريقيا، ج٢، ص ١٥٦.

[٢] مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص ٢٠٥.

[3] Insoll, and Shaw, Thurstan: Op.cit, PP. 18, 20.

وإذا كانت المصادر قد أوردت أكثر من إشارة حول وجود صلات تجارية بين مصر والسودان الغربي، فإنها لم تشر إلى وجود مثل هذه الصلات بين مدن بلاد الشام وبلاد السودان الغربي، باستثناء إشارة الزهري الخاصة بتصدير العاج من جاو إلى مصر وبلاد الشام[١]، لكن تأكيد المكتشفات الآثارية على وصول سلع مصرية وشامية – لا سيما الزجاج – إلى مدينة جاو، يجعلنا نرجح أن هذه السلع وصلت إلى جاو بواسطة التجار المصريين عبر طريق التجارة الشرقي.

على أية حال، إذا كانت المصادر الجغرافية والتاريخية لم تقدم إحصاءً بالسلع التي حملها تجار مصر إلى جاو خلال فترة هذا البحث، فإن تقارير الحفائر تسهم في سد هذا العجز، إذ تؤكد وجود الزجاج المصري والشامي في حفائر جاو، بل وفي أكثر من موقع من مواقع الحفر بغربي أفريقيا، فقد عثر على بقايا زجاج أزرق اللون ومزخرف باللون الأبيض. وتبين أن ست شظايا من بين هذا النوع، أنتجت في مصر في العصر الفاطمي، وأنها تعود إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة[٢]. واكتشفت قطعة واحدة من الزجاج المطلي بالمينا، تعود للقرنين الخامس والسادس للهجرة، يرجح أن

---

[١] مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص ٢٠٥.

[2] Insoll: «Islamic Glass from Gao», PP.81-82.

مصدرها مصر أو بلاد الشام[١]. كما وجدت خمس شظايا زجاجية جلبت من مصر، وبلاد الشام، تعود لنفس الفترة الزمنية[٢].

أما بقايا المكتشفات فكانت للمصنوعات الزجاجية ذات الاستخدام المنزلي، منها ثلاث أواني زجاجية وجدت في موقع جاو، يرجع تاريخ إنتاجها إلى القرنين الرابع والخامس للهجرة، ويرجح أن الإناءين الأولين قد أنتجا في مصر[٣]. وعثر على ست شظايا لثريات زجاجية صفراء اللون من أصل مصري يعود تاريخها إلى نفس الفترة المذكورة[٤].

وهناك أحد الاكتشافات الفريدة من نوعها بالنسبة لبلاد السودان الغربي ترجع لنفس الفترة الزمنية، فقد اكتشف في موقع جاو ساني بقايا من المرمر الذي استخدم في بناء إطارات نوافذ المنازل، وتزيينها، كما عثر على إطار نافذة إسلامي يرجح أنه صنع في مدينة الرقة في بلاد الشام[٥].

---

(1) Ibid, P. 85.

(2) Ibid, P. 83, Insoll: «Iron Age Gao», P.14, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P.562.

(3) Insoll: «Islamic Glass from Gao», P.80.

(4) Insoll: «Iron Age Gao», P.14, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P. 562.

(5) Insoll: «Islamic Glass from Gao», P.85.

لقد ازدهرت صناعة الزجاج الإسلامي في مصر منذ العهد الفاطمي، ومرورًا بالأيوبي، ثم المملوكي، ويؤكد ناصر خسرو ازدهار صناعة الزجاج في مصر، ووصفه باللطف والشفافية[١].

ووصلت صناعة الزجاج الإسلامي بوجه عام لقمة الازدهار خلال القرن السادس للهجرة، وبدأ ظهور الأواني الزجاجية المطلية بالمينا، والأواني المذهبة، وخلال هذه الفترة عرفت صناعة الزجاج تطورًا ملموسًا في عدة مدن إسلامية، مثل صور[٢]، ودمشق، وحماة، وحلب[٣]، والرقة، والقاهرة[٤]. ولتميز صناعة الزجاج ببلاد الشام، ضرب بها المثل، فقيل " أرق من زجاج الشام"[٥].

---

[١] سفر نامة، ص ١١٨.

[٢] الإدريسي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٦٥.

[٣] اشتهرت بعض المدن الشامية بصناعة الزجاج، وأسفرت الحفائر الآثارية في موقع مدينة حماة، عن الكشف عن الكثير من المصنوعات الزجاجية، والتي أنتجت محليًا، كما اشتهرت مدن دمشق وحلب والرقة بصناعة الزجاج، وترجع أدلة هذا الإنتاج في مدينة الرقة إلى الفترة من القرن ٢-٦هـ/٨-١٢م، انظر:

Henderson, Julian: Ancient Glass an Interdisciplinary Exploration, Cambridge University press, USA, 2013, P.268, Carboni. S: Glass from Islamic Lands, The Al Sabah Collection, London, 2001, p. 184.

[4] Henderson, Julian: Op.cit, P.269, Carboni: Op.cit, p.52.

عثر في حفائر عام ١٩٦٥ بموقع الفسطاط على بقايا مصنع لصنع سبائك الزجاج. كما عثر في مصر على بعض الأوزان الزجاجية التي تعود للعصر الفاطمي، انظر:

Scanlon, George T: «Fustat and the Islamic Art of Egypt», Archaeology, Vol.21, No.3, (June, 1968), P. 190.

[٥] ابن الوردي: مصدر سابق، ص ٣٦٦.

وبالإضافة إلى بقايا المصنوعات الزجاجية، وجدت شواهد أخرى أكدت وصول الخرز الزجاجي المصري إلى جاو، وبلاد السودان، فتبين من تحليل عينة الخرز المكتشفة في مدينتي جاو، وجني، والمؤرخة بالفترة الممتدة بين عامي (٢٨٨-٨٠٣هـ/٩٠٠- ١٤٠٠م)، استخدام عناصر الصودا، والرصاص وأكسيد القصدير، وهي نفس المواد التي استعملت في تصنيع الخرز الزجاجي في العالم الإسلامي، لا سيما خرز الفسطاط[١].

---

(1) Mcintosh, Susan Keech, "Stone, Glass, and Bone", In Mcintosh, Susan (Editor): Excavations at Jenné-Jeno, Hambarketolo, and Kaniana (Inland Niger Delta, Mali): The 1981 Season, University of California Press, USA, 1995, P.256, Henderson, Julian: Op.cit, p. 294.

من المعروف أن غالبية الخرز الزجاجي الذي شاع استعماله في البلدان الإسلامية في العصور الوسطى، صنع في الفسطاط، ولم يعثر على هذا الخرز في مواقع غربي أفريقيا فقط، بل في جنوبها أيضًا، فقد عثر على الكثير من هذا الخرز في موقع Mapungubwe مابونجوبوي، وهي مملكة (٤٦٨-٦١٧هـ/١٠٧٥-١٢٢٠م) تقع جنوب أفريقيا على بعد حوالي ٢٨٣ كم شمالي مدينة بريتوريا عند التقاء نهري شاشي وليمبوبو، جنوب دولة زيمبابوي الحالية، وكانت هذه المملكة تشارك بقوة في النشاط التجاري واتصلت بالموانئ الساحلية في جنوب شرق أفريقيا، لمسافة تصل إلى أربعمائة ميل، واتصلت بشبكة التجارة عبر المحيط الهندي، لا سيما أن المدينة اشتهرت بمنتجي الذهب والعاج، اللذين عرفا طلبًا متزايدًا، انظر:

Wood, Marilee: «Making Connections: Relationships between International Trade and Glass Beads from the Shashe-Limpopo Area», Goodwin Series, African Naissance: The Limpopo Valley 1000 Years Ago, Vol. 8, (Dec, 2000), PP.79,82, Hall, Martin, Stefoff, Rebecca: Great Zimbabwe, Oxford University Press, Oxford, 2006, pp.34, 45.

كما اكتشف في موقع الإيبو أوكو عدد كثير من الخرز الزجاجي والعقيق، قدر بمائة وخمس وستين ألف قطعة يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس للهجرة، ومعظمها من أصل مصري. وقد عثر على مائتين وأربع وستين قطعة من نفس النوع من الخرز الزجاجي أثناء الحفائر في موقع جاو القديم. كما اكتشفت اثنتا عشرة قطعة مماثلة في الموقع المجاور جاو– ساني. وبمقارنة عينات هذا الخرز المكتشف في مواقع جاو القديم، وجاو ساني، وإيبو أوكو، بالخرز المستخرج من موقع الفسطاط في القاهرة، تبين أن مصر تعد مصدرًا لعدد كثير من الخرز الزجاجي المكتشف في مواقع غربي أفريقيا(١). وهو نفس الاستنتاج الذي توصلت إليه فاناكير من خلال تقارير حفائر موقع تغداوست بموريتانيا حيث تبين أن الخرز الزجاجي المكتشف في هذا الموقع، والذي يعود إلى الفترة من القرن الثاني إلى السادس للهجرة، يشبه تمامًا الخرز الزجاجي عالي الجودة المكتشف في الفسطاط(٢).

وبهذا يرجح أن تكون جاو قد مثلت الوسيط الذي انتقل عبره الخرز المصري إلى الإيبو أوكو؛ فليس هناك دليل على وجود صلة مباشرة بين مصر والإيبو أوكو، فضلاً

(1) Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, p. 20, Heddouchi: Op.cit, P.60.

(2) Vanacker, Claudette: «Perles de Verre Decouvertes sur le Site de Tegdaoust (Mauritanie Orientale)», Journal des Africanistes, 54, fasc 2, (1984),p.39.

عن أن الطريق بين الشمال والجنوب على طول نهر النيجر وعبر جاو كان المسلك الرئيس لتجارة الإيبو أوكو[١].

وعلى الرغم من هذه الوفرة للخرز الزجاجي المصري، بناء على المكتشفات الآثارية في أكثر من موقع، نجد غياب شبه تام للإشارات المصدرية المتعلقة بهذا الموضوع، رغم إسهاب المصادر في الحديث عن التجارة عبر الصحراء، ولا يوجد سوى نص صريح واحد يرجع للقرن الرابع للهجرة، والذي أكد أن الزجاج المصري أحد أهم الصادرات لبلاد السودان[٢]. وعمومًا فلا يستبعد وصول الخرز الزجاجي من مصر إلى ممالك السودان الغربي، فناصر خسرو يشير إلى أن الخرز كان أحد السلع المهمة التي حملها تجار مصر إلى بلاد النوبة جنوبًا[٣].

ولم يقف الزجاج وحده شاهدًا على صلات جاو التجارية مع مصر، وإنما سجلت بعض السلع المصرية الأخرى حضورها ضمن تقارير حفائر جاو، ومنها الفخار والخزفيات ذات الطلاء المعدني، فقد اكتشفت إحدى عشرة قطعة من هذا الخزف في موقع جاو القديم، وسبع قطع مماثلة في موقع جاو ساني، تعود إلى القرنين الخامس والسادس للهجرة، يرجح أن مصدرها مصر[٤]. ومعروف أن صناعة الخزف المصري

---

(1) Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, PP.9-10, 20.

(2) مجهول: حدود العالم، ص ٢٠٥.

Heddouchi: Op.cit, P.62.

(٣) سفر نامة، ص ٩٦.

(4) Heddouchi: Op.cit, PP.66-67.

ذي البريق المعدني قطعت شوطًا كبيرًا من الازدهار خلال العصر الفاطمي؛ مما حمل ناصر خسرو على الإشادة بهذه الصناعة، ووصف الفخار المصري بقوله: " وهو لطيف وشفاف بحيث إذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل، وتصنع منه الكؤوس والأقداح والأطباق وغيرها "[١].

ويعد الرصاص من السلع التي حملها التجار المصريون إلى جاو، فصاحب كتاب حدود العالم الذي تحدث عن بلاد السودان وما كان يجلبه إليها التجار المصريون من سلع، أكد وجود الرصاص ضمن هذه السلع[٢]. وقد اكتشفت سبيكة من الرصاص في موقع جاو القديم، يرجح أن مصدرها مصر[٣]. ولو صح هذا الأمر فإنه يعني أن القوافل المصرية كانت على استعداد لحمل البضائع الثقيلة عبر الصحراء، وأن هذه

---

[١] سفر نامة، ص ١١٩؛ حسين، محمود إبراهيم: الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٩٧؛ يوسف، عبد الرءوف: "الرسوم الآدمية على الخزف المصري في العصر الإسلامي"، **المجلة**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، العدد ٢١، السنة ٢، (صفر/ سبتمبر ١٩٥٨)، ص٧٥، ٧٦؛ عبد العزيز، محمد الحسيني: "فن صناعة الزجاج في العصور الإسلامية"، **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد ١٨٣، السنة١٦، (يناير/ ربيع الأول١٩٨٠)، ص ٧١، ٧٢.

[٢] مجهول: حدود العالم، ص ٢٠٥.

Heddouchi: Op.cit, P.38.

[٣] Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.69.

البضائع كانت تدر عليهم أرباحًا طائلة، وهو الأمر الذي أكده صاحب حدود العالم، حينما أشار إلى أن التجار المصريين يرجعون في مقابل سلعهم بنفس وزنها ذهبًا[١].

هكذا بينت تقارير الحفائر وصول سلع مصرية إلى جاو، ورغم وصف المصادر الجغرافية للطريق بين جاو ومصر، إلا أنها لم تذكر أيًا من هذه السلع، في حين قدمت تقارير الحفائر تفاصيل مهمة بشأن هذه السلع من حيث النوعية، وتقنية الصنع، والكم. وفي حين غاب الحديث عن وجود السلع الشامية في التجارة عبر الصحراء، أثبتت الحفائر وجود الزجاج الشامي، إلى جانب الزجاج المصري.

٣- الصلات مع الأندلس:

بالرجوع للمصادر الجغرافية والتاريخية لا نجدها تقدم ثمة دليل على وجود صلة بين مدينة جاو وبلاد الأندلس، غير أن المكتشفات الآثارية أثبتت أن الأندلس تعد من أهم الشركاء التجاريين لجاو، لا سيما إبان حكم المرابطين في الأندلس، إذ ثبت وجود صلات تجارية بين جاو وألميرية، بل إن البعض يرى أن هذه الصلات تعد سببًا من أسباب ازدهار ألميرية، التي شهدت معدلات إنتاج عالية من العملات الذهبية في العهد المرابطي، بدليل العثور على ثمان وخمسين قطعة نقدية ذهبية في ألميرية، من أصل أربعمائة وثلاث وعشرين قطعة تعود لذلك العهد، وعثر على مائة وأربع قطع من

---

[١] مجهول: حدود العالم، ص ٢٠٥.

Heddouchi: Op.cit, P.70.

مجموع مائة وثلاث وسبعين، عثر عليها في المنطقة الساحلية التي تقع ألميرية ضمن حدودها(١).

بالإضافة إلى الذهب، صُدر العاج من جاو إلى ورش الأندلس، فقد كان بإمكان الأمويين في الأندلس الحصول على إمدادات من العاج المجلوب من بلاد السودان عبر تاهرت، وبالفعل تحقق لهم هذا نتيجة العلاقات الوثيقة بين قرطبة وتاهرت، لا سيما في ظل الصلات المتميزة بين تاهرت وجاو، وفقًا للسير الأباضية(٢). فقد اشتهرت ورش الأندلس بالمصنوعات المطعمة بالعاج، ومنها الصناديق المنحوتة والمرصعة بالعاج، وأثاث المساجد الذي أنتج في مدن مثل قرطبة، والزهراء في القرن الرابع للهجرة(٣). وبعد منتصف القرن الخامس للهجرة اشتهرت الممالك المسيحية في شمالي الأندلس بنحت العاج، بالرغم من أن هذه الصناعة استمرت في الأندلس خلال العهد المرابطي(٤).

وثمة أدلة أخرى تثبت وجود صلات تجارية بين جاو والأندلس، تتمثل في شواهد القبور الرخامية المنقوشة التي اكتشفت في موقع مقبرة جاو ساني عام ١٩٩٣، ويعود

---

(١) Farias: «The Oldest Extant», pp.77-78, Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P.333.

(٢) انظر المالكي: مصدر سابق، ص ٣٦، ٧١؛ الدرجيني: مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٠.

Farias: «The Oldest Extant», pp. 77-78, Insoll, Timothy: «A Cache of Hippopotamus», P.333.

(3) المقري، أبو العباس: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، ج١، ص ٥٢٧.

(4) Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P.333.

تاريخها إلى القرن السادس للهجرة. وقد ثبت إنتاج هذه الشواهد في ألميرية في عهد المرابطين[١]. ولا تتعارض الظروف التاريخية مع هذا الاستنتاج؛ فقد ارتبط حكام الدول الإسلامية آنذاك بصلات تجارية مع الأندلس، كما أنهم كانوا على درجة من الثراء مكنتهم من استيراد الرخام الأندلسي غالي الثمن[٢]، كما أن التواريخ المعطاة توضح أن شواهد قبور جاو نحتت في وقتٍ قام فيه المرابطون بإخضاع شبه جزيرة أيبيريا لسلطتهم، ومن هنا لا يستبعد قيام علاقات عبر دولتهم بين مدينة ألميرية حيث نحتت الشواهد، ومدينة جاو حيث نصبت[٣].

كما ثبت وجود تبادل تجاري بين جاو والأندلس من خلال الكشف عن فخار أندلسي يعود تاريخه إلى القرن السادس للهجرة في موقع جاو ساني[٤]. وفي موقع جاو القديم عثر أيضًا على فخار أندلسي يعود إلى الفترة الثالثة الممتدة من القرن الرابع إلى السادس للهجرة، حيث عثر على أربع وثلاثين قطعة من شقف هذا الفخار[٥].

---

(1) Sauvaget . J: "Les épitaphes Royales de Gao", dans: Al-Andalus Revista de Las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid Y Granada, Vol. XIV, Pelayo Instituto Miguel, Asian, 1949,p.133, Mauny: Op.cit, p. 515.

(2) Conrad, David: Op.cit, p.51.

(3) Sauvaget . J: Op.cit, p.133, Mervyn, Hiskett: The Development of Islam in West Africa, Longman Group LTD, London, 1948, p. 23.

(4) Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P.335.

(5) Insoll and Shaw, Thurstan: «Gao and Igbo-Ukwu», PP.13-14.

وعثر على زجاج من أصل أندلسي في موقع جاو ساني، يرجع للقرن السادس للهجرة[١]. وعثر على نظيره أيضًا في موقع جاو القديم، يرجع تاريخه للفترة الممتدة من القرن الرابع إلى السادس للهجرة، حيث عثر على مائة وتسع وأربعين قطعة من شظايا هذا الزجاج[٢].

بالإضافة إلى ما سبق، اكتشف شَقَف من الخزفيات ذات الطلاء المعدني من أصل أندلسي يعود إلى القرن السادس للهجرة في موقعي جاو ساني، وجاو القديم[٣]، وقد أنتجت إحدى عشرة قطعة من هذا الخزف في مالقة[٤]. فقد ثبت تطابق الخزف اللامع أو المزجج الذي اكتشف في جاو، مع ذلك الذي استخرج من الحفائر في مالقة، والذي يعود تاريخه إلى القرن السادس للهجرة، حيث يحمل نفس الزخارف، والألوان. ولا تستبعد هذه الفرضية لا سيما أن مالقة كانت تحت حكم المرابطين منذ عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، فضلاً عن أن المرابطين أقاموا صلات قوية مع جاو خلال تلك الفترة[٥].

(1) Insoll: « A Cache of Hippopotamus», P.335.

(2) Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, PP.13-14.

(3) Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P.335.

(4) Insoll: «Iron age Gao», P.14, Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P.562.

(5) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.65.

ولا تقف هذه القرائن شاهدًا فقط على وجود صلات قوية بين جاو والأندلس، وإنما تدعم أيضًا الرأي القائل بإسهام جاو في ازدهار الأندلس إبان القرنين الخامس والسادس للهجرة[١].

وإذا كانت الحفائر الآثارية قد أسهمت في الكشف عن هذه السلع المهمة في التجارة بين جاو والأندلس، فإن المصادر الإسلامية لا تقدم أدلة على استيراد جاو لهذه السلع، وإنما أشارت إلى جلب الثياب المُرسية، والخز والحرير من الأندلس إلى بلاد السودان[٢].

٤- الصلات مع الصين والهند:

اكتشف شقف الخزف الصيني في حفائر جاو ساني عام ١٩٩٣، ويؤرخ هذا الخزف بالفترة الممتدة من القرن الرابع إلى السادس للهجرة[٣]، ويرجح أن هذا الخزف قد نقل إلى جاو عبر الصحراء[١].

---

[١] سيديبي، ساموبل: "القبور والشعائر المأتمية"، في روبير فيرني (محرر): الأركيولوجيا في أفريقيا الغربية الصحراء والساحل، ترجمه عن الفرنسية: بوبة ولد محمد نافع، نواكشوط، ٢٠٠٢، ص ١٠١.

Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.73, Hunwick, John: «Gao and the Almoravids Revisited: Ethnicity, Political Change and the Limits of Interpretation», Journal of African History, Vol.35,No.2 (1994), P.265.

[٢] الزهري: مصدر سابق، ص ١٢٤.

[3] Decorse, Christopher: «Culture Contact, Continuity and Change on the Gold Coast, AD 1400-1900», African Archaeological Review, Vol. 10, (1992), PP.164,176, 189.

وبالإضافة إلى الخزف الصيني، عرف العقيق الهندي طريقه إلى جاو، فقد كشفت حفائر جاو عن وجود العقيق الأحمر، ومصدر هذا العقيق ولاية كجرات بالهند(٢). ورغم مقارنة إنسول بين العقيق المكتشف في جاو، وعقيق الهند، وتوصله إلى وجود تشابه بين الاثنين، إلا أن وجود بعض الاختلافات جعلته لا يحدد بدقة مصدر هذا العقيق في غربي أفريقيا(٣). وأيًا كان الأمر، فوفقًا للعقيق المكتشف خلال أعمال الحفر، يرجح وجود صلات تجارية بين الهند ومدينة جاو، ساعد على تنميتها وجود شبكة تجارية سيطر عليها التجار المسلمون الذين لعبوا دور الوساطة التجارية بين المنطقتين(٤).

وقد وجدت أدلة في جاو ساني تثبت وجود صناعة لخرز العقيق الأحمر، بدليل الكشف عن وجود كتل من المواد الخام من هذا العقيق، وبعض الفراغات المستخدمة

---

(1) Insoll, Timothy: «A 16th-17th Century AD Sherd of Chinese Stoneware Found at Gao, the Republic of Mali West Africa», The Oriental Ceramic Society Newsletter ,Vol. 3, (1995), P.13, Hunwick, John: "Songhay, Borno and Hausa States 1450-1600", in Ajayi and Crowder (eds): The History of West Africa, 3rd Edition, Longman, 1985, Vol.1, P. 364.

(2) Insoll: "Timbuktu and Europe", P.479, Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.29.

(3) Heddouchi: Op.cit, P.92.

(4) Ibid, P. 1164.

في تصنيع الخرز. وكانت هذه الفراغات تشبه تمامًا ما كان موجودًا منها بالهند، وتبين أن صناع الخرز العقيق في جاو ساني قلدوا السمات المتبعة لدى الصناع الهنود[١].

وبالرغم من غياب الإشارات في المصادر حول قيام صلات تجارية بين الهند وبلاد السودان الغربي، إلا أنه ثبت وجود صلات بين الهند وبلاد الحبشة، وساحل شرقي أفريقيا خلال العصر الإسلامي، نتيجة الطلب الهندي المتزايد على العاج السوداني في مقابل النسيج والخرز الهندي[٢]. وثبت وجود صلات تجارية بين مصر والهند بل كانت مصر الموزع الرئيس لسلع بلاد الهند والصين، وساحل شرقي أفريقيا، كما كان لكثير من تجار المحيط الهندي خانات ووكالات تجارية في مصر، فكانت مصر وسيطًا تجاريًا بين هذه المناطق[٣]، وهو ما يجعلنا نرجح وصول العقيق الهندي إلى جاو مع التجار المصريين.

دل على الصلات بين جاو والهند أيضًا العثور على حبات الخرز الزجاجي، ففي إحدى العينات تبين أن واحدة من هذه الحبات تشبه تماما ما كان يصنع في الهند[٤]. وهذه النتيجة الأخيرة إضافة إلى ما تبين من وجود تشابه بين سلع الصين والهند، وما

---

(1) Ibid, PP. 81– 82.

(٢) المسعودي: مصدر سابق، ص ١٠٧–١٠٩؛ شريف، أ.م. هـ: الساحل الأفريقي الشرقي ودوره في التجارة البحرية، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٨٥، المجلد الثاني، ص ٥٨١، ٥٨٢؛ عثمان، شوقي عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ١٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (يوليو ١٩٩٠)، ص ١٤٨.

(٣) عثمان، شوقي عبد القوي: مرجع سابق، ص ١٤٥، ١٤٧.

(4) Mcintosh, Susan Keech: Op.cit, PP.255.

وجد من سلع في حفائر أخرى بموقع جيني جينو بمالي، تمثل مفاجأة تستدعي تسليط الضوء وإلقاء المزيد من الأسئلة المهمة بشأن العلاقات التجارية بين آسيا وبلاد السودان الغربي[١].

٥- صلات جاو مع المراكز والمدن التجارية الداخلية ببلاد السودان:

لعب موقع جاو المهم عند التقاء طرق التجارة عبر الصحراء مع طريق نهر النيجر دورًا بالغ الأهمية في اتصال جاو بنظيراتها من المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي، بفضل ما توافر لديها من سلع تسويقية مهمة، فتشير تقارير الحفائر التي أجريت في موقع كومبي صالح العاصمة الشهيرة لمملكة غانة التي ازدهرت بين القرنين الثالث والخامس للهجرة، إلى العثور على عدد قليل من شظايا الزجاج الإسلامي المستورد يؤرخ معظمها بالقرن الخامس للهجرة [٢]. كما عثر على بعض بقايا الزجاج في موقع تغداوست، التي كانت مركزًا تجاريًا يقع إلى الشمال الغربي من كومبي صالح، وتبين أن بعض الزجاج المكتشف يتشابه مع ما أنتج في مدينة رقادة الأغلبية، وفي

(1) Ibid, PP. 256.

(2) Insoll: «Islamic Glass from Gao», P.86.

مدينة الفساط إبان العهد الفاطمي[١]. لكن كمية الزجاج المكتشفة في موقع جاو، فاقت كثيرًا ما كشف عنه في كومبي صالح وتغداوست[٢].

وبالنظر في المصادر الجغرافية يتضح اتفاق معطياتها مع تقارير الحفائر الآثارية، فندرة الزجاج المكتشف في موقعي كومبي صالح، وتغداوست، بالمقارنة مع ما تم اكتشافه في موقع جاو، يمكن تفسيره بما عانته مملكة غانة من منافسة وصلت إلى حد الصراع الحربي مع بعض الممالك المجاورة منذ نهاية القرن الثالث للهجرة، نتيجة تحقيق غانة النصيب الأكبر من مكاسب التجارة عبر الصحراء، لسيطرتها على منجم الملح في أوليل[٣]، وعلى مناطق إنتاج الذهب[٤]، حارمة بذلك القبائل الصنهاجية القاطنة على طول الطرق التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي من جني ثمار هذا النشاط التجاري المهم، فكان بديهيًا أن تتحد تلك القبائل الصنهاجية لمواجهة

---

(١) فاناكير، أكلوديت: نتائج التنقيب في حي صناعي عن مدينة أودغست، المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، صنعاء، فبراير ١٩٨٥، ص ١٢٥.

(2) Insoll: Islam, Archaeology and History Gao, P.84.

(٣) البكري: مصدر سابق، ص ١٧١.

(٤) ابن الوردي. تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص ٨٢.

Hale, Thomas: Scribe, Griot, and Novelist Narrative Interpreters of the Songhay Empire, University of Florida Press, USA, 1990, P.24.

مملكة غانة[١]. ويرجح تأثير تلك الصراعات على النشاط الاقتصادي لغانة، بل وعلى طريق التجارة الغربي.

وإذا كانت مملكة غانة قد شملت خلال القرن الثاني للهجرة معظم بلاد السودان الغربي، وامتدت سلطة ملوكها خارج حدودهم إلى النيجر الأوسط، وشمال شرق، وشرق منحنى النيجر، باتجاه أدرار أفوقاس، وآير، فإن هذا يعني أنهم ضموا كلاً من جاو وتادمكة إلى نفوذهم[٢]، لكن مع نهاية القرن الثالث للهجرة أكد اليعقوبي (توفي٢٨٤هـ/٨٩٧م) تراجع السيطرة الغانية تدريجيًا لصالح مملكة كوكو، التي أخضعت الكثير من الممالك لسلطانها، فقدم ملوك هذه الممالك فروض الطاعة لملك كوكو[٣]. وتحدث اليعقوبي في ذات السياق عن مملكة غانة فيقول: " وملكها أيضًا

---

(1) Ryan, P.: «Islam and Politics in West Africa Minority and Majority Models», The Muslim world, Vol. LXXVII, No.1, (January 1987), P.8.

لم يقف الأمر عند منافسة قبائل صنهاجة لمملكة غانة التي عانت من منافسة ممالك أخرى، ومنها مملكة أنبارة الواقعة إلى الغرب منها، ولذلك وُصف ملكها بأنه "معاند لملك غانة"، البكري: مصدر سابق، ص١٧٢- ١٧٣، ١٧٩؛ مجهول: الاستبصار، ص٢٢٢. كما كانت هناك مدينة قلنبو الواقعة إلى الغرب من نهر السنغال، وكان ملكها "يكاد يقاوم ملك غانة"، ابن سعيد: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان كرميظ خيديس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨، ص ١٧٢-١٧٣. كما إن ملك سلي، قاوم ملك غانة أيضًا، مجهول: الاستبصار، ص٢١٧.

(٢) طرخان، إبراهيم: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣٠؛ عبد الكريم، جودت: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص ٢٣٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي، طبعة مدينة ليدن، ١٨٨٣، ج١، ص ٢٢٠.

عظيم الشأن "[١]. ثم يؤكد المسعودي (المتوفى عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م) نفس الأمر في القرن الرابع للهجرة وإن كان قد نقل نص اليعقوبي كما هو[٢].

أضف إلى ما سبق أيضًا تأثر طريق التجارة الغربي بالأحداث السياسية التي شهدها جنوبي المغرب الأقصى، إذ سيطرت قبيلة مغراوة الزناتية في عام ٣٣٦هـ/٩٧٦م على مدينة سجلماسة، والتي عدت المحطة الشمالية الغربية لطريق التجارة عبر الصحراء، بالإضافة إلى سيطرتها على مدن درعة وأغمات وتامدولت، وهي مدن حيوية أيضًا لهذه التجارة[٣]. ومن الراجح أن الزناتيين عطلوا انتظام تجارة القوافل عبر الصحراء باحتلالهم للمحطة الشمالية لهذه التجارة وهي مدينة سجلماسة[٤]، فنشط طريقا التجارة الأوسط، والشرقي، اللذان كانا يمران بمدينة جاو، فضلاً عن تمتع جاو بوضع سياسي مستقل، مستغلة المنافسة بين غانة وصنهاجة الصحراء، وما نتج عنه من تغير مراكز القوى السياسية.

وبرغم صعوبة استمرار التواصل التجاري بين كومبي صالح، وتغداوست، وجاو نتيجة لتغير مراكز السلطة السياسية من فترة لأخرى، وما كان ينشأ عن هذه التغيرات

---

[١] المصدر السابق، نفس الجزء، ص ٢٢٠.

[٢] أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والعامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦، ص ٨٨.

[٣] إ. هربك و ج. دُفيس: مرجع سابق، ص٣٧٦؛ ليفيتسكي، تاديوز: مرجع سابق، ص ٣٣٥.

[٤] مراد، حسين: "دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة/ القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٤٦، (٢٠٠٨)، ص ١١٨.

من اضطرابات وتغيرات على صعيد النشاط التجاري، فإن وجود تشابه في المصنوعات الزجاجية المكتشفة في المواقع الثلاثة من حيث بساطة التصنيع لا سيما الكؤوس الزجاجية المفتوحة، والأكواب، والزجاجات التي اكتشفت في كومبي صالح، وتغداوست، وجاو في الفترة من القرن الخامس إلى الثامن للهجرة[١] هذا التشابه يؤكد وجود صلات تجارية بين هذه المراكز، وقيام جاو بدور الوساطة بين سلع الشمال والجنوب، لا سيما أن الطرق التجارية لم تبق ثابتة باستمرار.

وثمة أدلة أخرى تؤكد قيام جاو بهذا الدور، فالخرز الزجاجي الذي تم الكشف عنه في موقع إيل إيفي بأرض اليوروبا يشبه نفس الأنواع المكتشفة في مواقع عدة ببلاد السودان لا سيما ما اكتشف في موقع إيلوي Iloyi، وفي مملكة أويو القديمة Old Oyo، وفي جاو، وفي كومبي صالح، وفي تغداوست عبر فترات زمنية تمتد من القرن الثالث إلى الثاني عشر للهجرة/ التاسع إلى الثامن عشر للميلاد[٢]. ويعد الخرز من السلع القليلة الفاخرة التي عثر عليها خارج المراكز التجارية الكبرى. ويرجع هذا جزئيًا إلى سهولة نقله ومتانته، لذلك تم تصدير الخرز من جاو إلى المناطق الداخلية على طول منحنى نهر النيجر[٣]. وهو أمر يؤكد صلات جاو بغيرها من مراكز التجارة ببلاد السودان.

---

[١] فاناكير، أكلوديت: مرجع سابق، ص ١٢٥.

[2] Ogundiran: Op.cit, P.434, Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, 14, 16.

[3] Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.82, Insoll: «Iron Age Gao», P.17

وتأكد تشابه المواد المكتشفة في موقع جاو، مع تلك التي اكتشفت في موقع جني جينو، لا سيما الأعناق الزجاجية وبعض شقف الأطباق الزجاجية ذات الجوانب المزخرفة، ويرجع تاريخها إلى المرحلة الممتدة بين عامي (٢٨٨-٨٠٣هـ/٩٠٠-١٤٠٠م)[١].

واكتشف شقف الفخار المزجج في موقع تادمكة، والتي ربطتها صلات تجارية مهمة بمدينة جاو[٢]، ولم يكن من الصعب وجود هذه الصلات، فالمسافة بين المدينتين قُدرت بتسعة أيام[٣].

كما تشير تقارير الحفائر الآثارية في موقع بيلمبيري بيرو Bilimbiri Bero في منطقة بنتيا Bentyia والتي كشفت عنها أرازي Noémie Arazi عام ١٩٩٦، إلى العثور على عدد مائتين وخمس وعشرين قطعة من بقايا هياكل حديدية، وبعض أدوات الزينة المصنوعة من الزجاج، والأحجار شبه الكريمة، والخرز، والفخار، والخزف، يرجح أنها كانت نتاجًا للصلات التجارية عبر الصحراء، وأن بعضها تم نقله من جاو إلى بنتيا، وترجع إلى الفترة الرابعة الممتدة بين عامي (٥٩٧-١٠٠٩هـ/١٢٠٠-١٦٠٠م)،

---

(1) Mcintosh, Susan Keech: Op.cit, PP.369-370, 380.

(2) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.63.

فارياس: مرجع سابق، ص ٥٥.

(٣) مجهول. الاستبصار، ص٢٢٥.

فقد لاحظت أرازي التشابه الكبير بين هذه المصنوعات الزجاجية والخزف، وما عثر عليه في موقع جاو[١].

وعثر خلال الحفائر التي أجريت في موقع مرندة Marandet في الجنوب الغربي من أقدز في منطقة الآير على بعض الأدلة التي تبين وجود صلات تجارية بين مناطق جاو، وبنتيا كوكيا، منها وجود حبات من الخرز، يشبه ما عثر عليه في موقع جاو وسجله إنسول، والنوع الذي اكتشف في بنتيا وسجله كل من أرازي، وباولو فرناندو[٢].

وهكذا تعددت صلات جاو بغيرها من مدن التجارة ومراكزها في بلاد السودان الغربي، حيث لعبت جاو دور الوساطة بين المنتجات المستوردة عبر الصحراء، والمنتجات السودانية التي أسهمت جاو بدور مهم في تصديرها، ومما أعان جاو على لعب هذا الدور أنها لم تكن مجرد سوق للإستيراد، وإنما عدت مركزًا حرفيًا متميزًا، استفاد من النشاط التجاري عبر الصحراء، وهو ما نرصده من خلال أثر التجارة عبر الصحراء في مدينة جاو.

(1) Arazi: Op.cit, P. 38, Farias: «Bentyia (Kukyia)», PP. 6-7.

(2) Farias: «Bentyia (Kukyia)», P.4.

رابعًا– أثر النشاط التجاري عبر الصحراء على مدينة جاو:

أسهم النشاط التجاري عبر الصحراء في تنوع الشركاء التجاريين لجاو، فمن خلال تقارير الحفائر في موقعي جاو القديم وجاو ساني، تأكد مشاركة هذه المدينة في شبكات تجارية واسعة[١]، مما أسهم في تطورها، فقد وصفت المصادر التاريخية كيف نمت هذه المدينة وحققت قدرًا كبيرًا من الثراء نتيجة تصدير المواد الخام مثل الذهب والرقيق، واستوردت السلع الأساسية بما في ذلك المنسوجات، والمعادن، والتوابل، والملح، ومواد غذائية أخرى[٢]، لكن ما كشفت عنه تقارير الحفائر يؤكد أن التجارة عبر الصحراء لم تكن مقصورة فقط على تبادل الملح بالذهب، وإنما كانت هناك مجموعة من السلع المهمة التي استوردتها جاو، لا سيما الزجاج، والفخار والخزف، والأحجار الكريمة، وقد شغف السودانيون باقتناء هذه السلع، وفاقت في قيمتها الذهب، فبذلوه رخيصًا في مقابل الحصول عليها.

فعلى الصعيد الاقتصادي تسوق كتب الجغرافيا والرحلات بعض أسباب شهرة جاو وعظمتها، فخلال القرن الرابع للهجرة، يؤكد المهلبي (توفي٣٨٠هـ/٩٩٠م) وجود مدينة تابعة لملك جاو، تقع على نهر النيجر تسمى سرناة، بها أسواق ومتاجر، والسفر إليها متصل من كل بلد، وأكد المهلبي أيضًا عمران هذه المدينة ورخائها، وكثرة

---

(1) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.15.

(2) Maclean, Rachel, Insoll: Op.cit, P.562, Lewicki, Tadeusz: West African Food in the Middle Ages, Cambridge University Press, Cambridge, 1974, PP. 120-123.

أموالها[١]. وقد استنتج بعض الآثاريين أن أوصاف مدينة سرناة التي ذكرها المهلبي، تتطابق مع موقع ساني في جاو، ولذا يرجح أن تكون ساني هي نفسها سرناة[٢].

ولم تكن جاو سوقًا استيرادية فحسب، وإنما عرفت أيضًا الإنتاج الحرفي والصناعي[٣]، وتبرهن معطيات الحفائر الآثارية على صحة هذا القول، فأعداد السلع التي اكتشفت في موقع جاو، تفوق عدديًا ما اكتشف في كثير من المواقع في الجهة الغربية لمنحنى نهر النيجر، مثل: تغداوست، وكومبي صالح، وهو ما جعل البعض يرجح وجود تصنيع محلي في جاو، يؤكد هذا أيضًا وجود بقايا أدوات هذا التصنيع، مثل: بقايا أفران الصهر، والبوتقات التي استخدمت في صهر المعادن[٤].

ومن دلائل الإنتاج الحرفي في جاو ساني، أنه لم يعثر في هذا الموقع على الكثير من الزجاج الفاخر، والفخار المستورد، وعلى النقيض من ذلك عثر على الكثير من هذه السلع المستوردة في موقع جاو القديم، وغابت المواد المصنعة محليًا، بعكس

---

(١) الكتاب العزيزي، ص ٥٥؛ الحموي: مصدر سابق، مجلد ٤، ص ٤٩٥.

(2) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.45, Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.15.

(٣) أكد الوزان عند زيارته لجاو في القرن ١٠هـ/١٦ أنها تعد سوقًا استيرادية مهمة، قصدها أهل السودان بأعداد كثيرة حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا بها السلع المستوردة من بلاد المغرب وأوروبا، انظر: وصف أفريقيا، ج٢، ص ١٦٩؛ وناس، زمان عبيد: "الزراعة والصناعة في جاو عصر دولة السونغاي في عهد الأساكي ٨٩٨ – ٩٩٩ هـ"، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، العراق، العدد ١، (كانون الثاني ٢٠٠٨)، ص٣١٥.

(4) Cisse, McIntosh, and Others: Op.cit, P.15.

جاو ساني التي عثر فيها على أدوات للتصنيع، فضلاً عن بعض السلع التي يرجح إنتاجها محليًا[١]. وبهذا استفادت جاو من صلاتها التجارية عبر الصحراء، واستفاد حرفيوها من تقنيات صنع السلع القادمة من الشمال؛ فتطور إنتاجها الحرفي، ولذلك جاء وصف سرناة " ساني " دقيقًا، بأن السفر متصل إليها من كل بلد، لكثرة أسواقها ومتاجرها.

ويؤكد هذا أيضًا أنه برغم استيراد جاو للكثير من الخرز الزجاجي، فقد أنتجت الكثير من هذا الخرز محليًا. واستنتج إنسول أن الخرز الزجاجي الأزرق الذي اكتشف في جاو تم تصنيعه من شظايا الزجاج المستورد، أو بقايا هذا الزجاج (الخردة)، بدليل وجود بعض حطام الزجاج المكتشف في جاو[٢]. وهكذا يبدو أن الغالبية العظمى من الخرز الزجاجي الذي وجد في جاو تم استيراده عن طريق التجارة عبر الصحراء، وأن الإنتاج المحلي اعتمد على هذا الزجاج المستورد[٣].

وبرغم وجود بعض التشابه بين الصناعات الفخارية والزجاجية المكتشفة في كل من تغداوست، وجاو، إلا أن المنتجات المكتشفة في تغداوست تعد أفضل هيئة من تلك التي تم اكتشافها في جاو، ويرجع هذا الأمر إلى أن نسبة المنتجات المستوردة في جاو

(1) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.46.

(2) Ibid, P.82.

(3) Insoll and Shaw, Thurstan: Op.cit, P.16.

ضئيلة جدًا إذا ما قورنت بما تم استيراده في تغداوست، نتيجة كثافة الإنتاج المحلي للزجاج في جاو[١].

ومن هنا نستنتج أنه إذا كانت المصادر الجغرافية والتاريخية لم تفسر أسباب ثراء جاو وتطورها؛ فإن تقارير الحفائر قدمت التفسيرات الدقيقة لهذا الثراء.

أما على الصعيد الاجتماعي، فنتيجة للنشاط التجاري المتميز لمدينة جاو، أصبحت هذه المدينة عامرة، وآهلة بعدد كثير من السكان، لذا وصفها المسعودي في القرن الرابع للهجرة بأنها أعظم ممالك السودان وأجلها قدرًا[٢]. وأكد المهلبي على أهمية مدينة كوكو، وأثنى على عمرانها[٣]. وأثبتت نصوص الجغرافيين والرحالة شهرة جاو وكثرة سكانها خلال القرن السادس للهجرة، فالإدريسي وصفها بأنها " مدينة مشهورة الذكر من بلاد السودان كبيرة "[٤]، ووصفها صاحب الاستبصار بأنها مدينة عظيمة فيها خلق كثير من السودان[٥]. ووصفها ابن بطوطة بأنها من أحسن مدن السودان وأخصبها[٦].

---

(1) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, PP. 63-64.

(٢) أخبار الزمان، ص ٨٨.

(٣) الكتاب العزيزي، ص ٥٥؛ الحموي: مصدر سابق، مجلد ٤، ص ٤٩٥.

(٤) نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨.

(٥) مجهول: الاستبصار، ص ٢٢٥.

(٦) تحفة النظار، ج٤، ص ٢٧١.

وعلى الصعيد السياسي أسهم الازدهار التجاري، والرخاء الاقتصادي الذي حققته جاو في تطورها لتصبح مملكة مهمة، فسيطرت وفقًا لما أورده المسعودي، على عدد من الممالك، التي قدم ملوكها فروض الطاعة لملك جاو خلال القرن الرابع للهجرة[١]، ثم أصبحت خلال القرن السادس الهجري مدينة مشهورة الذكر حسب وصف الإدريسي الذي وصف ملكها بأنه " قائم بذاته خاطب لنفسه وله حشم كثير ودخلة كبيرة وقواد وأجناد وزي كامل وحلية حسنة وهم يركبون الخيل والجمال ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأمم المحيطة بأرضهم "[٢].

أما على الصعيد الديني، فنتيجة ازدهار النشاط التجاري، وكثرة التجار المسلمين الداخلين إلى جاو، انتشر الإسلام في هذه المدينة، ويرجع الفضل في ذلك إلى تجار الإباضية الذين توافدوا على جاو زمن الدولة الرستمية (١٦٠-٢٩٧هـ/٧٧٧-٩٠٩م)[٣]، فإسلام الرعايا بدأ مع بداية الصلات التجارية مع التجار المسلمين.

وتدعم انتشار الإسلام عبر النشاط التجاري رويدًا رويدًا، وكان لهذا أثره على الطبقة الحاكمة، فحسب المهلبي، كان على حاكم جاو أن يعلن إسلامه أمام الرعية الذين كان غالبيتهم يدين بالإسلام[٤]، ووفقًا للسعيدي (توفي١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) أسلم

---

[١] أخبار الزمان، ص ٨٨.

[٢] نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٨.

[٣] الوسياني، أبو الربيع سليمان: سير أبي الربيع الوسياني، مخطوطة محفوظة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ٩١١٣ح، ميكروفيلم رقم٠٨٤٥٢، ورقة ٤٩؛ مراد، حسين: الصلات، ص٣٩٤.

[٤] الكتاب العزيزي، ص ٥٥؛ الحموي: مصدر سابق، المجلد الرابع، ص ٤٩٥.

زاكسي ملك جاو عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م[١]. وهكذا لم يكد القرن الرابع للهجرة ينتهي حتى أصبح الإسلام دينًا رسميًا في جاو بفضل التجار المسلمين.

وخلال القرن الخامس للهجرة أكد البكري ازدياد عدد مسلمي جاو، فانقسمت إلى مدينتين أحدهما للملوك والأخرى للمسلمين[٢]، وأصبح لزامًا على من يتولى حكم جاو أن يكون مسلمًا، لأن أهلها كانوا لا يقبلون تولية غير المسلمين[٣]. وهو تغير مهم أسهم النشاط التجاري في إحداثه[٤]، بدليل ما ذكره الإدريسي بشأن أهل كوكو بقوله: " وهم يداخلون التجار ويجالسونهم "[٥].

وبهذا يصدق الرأي القائل بأن تأثير الإسلام وثقافته في بلاد السودان والصحراء، كان أكثر عمقًا وقوة في المراكز التجارية[٦]؛ من ثم فإن تقارير الحفائر في غربي أفريقيا تدحض الآراء التي ربطت بين انتشار الإسلام وضرورة وجود سلطة قوية غالبة، وأنه حين تتوافر هذه السلطة يبسط الإسلام سلطانه، وتنشر بين الناس تعاليمه، وتعلو راياته. وحين تغيب مثل هذه السلطة يصبح النكوث عن الإسلام إلى المعتقدات الوثنية

Hamani, Djibo: L'islam au Soudan Central, Histoire de L'Islam au Niger du Viie Au Xixe Siècle, Harmatan Publiè, Paris, 2007, pp.37-39.

[١] ملوك السودان أهل سغي، ص٣.

[٢] المغرب، ص ١٨٣.

[٣] المصدر السابق، نفس الصفحة؛ إبراهيم، عبد الله: مرجع سابق، ص ٤٧٩.

[٤] مراد، حسين: الصلات، ص ٣٩٤.

[٥] نزهة المشتاق، ص١١.

[٦] مراد، حسين: "دولة أودغست"، ص ١١٣.

المحلية هو البديل الأمثل، وفي أحسن الفروض تكون المزاوجة بين الإسلام، وتلك المعتقدات، سبيلاً لامتزاج مزعوم يبقي من الإسلام اسمه، ويمحو معالمه وأثره[١].

وقد آن لمعتنقي هذا الرأي – عن قصدٍ أو غير قصد – أن يعيدوا النظر في الإشارات المصدرية الخاصة بإسلام الرعية دون الملوك، كما هو الحال بالنسبة لمملكة غانة التي كان بها عدد كثير من المسلمين، فأصبح لهم نصف المدينة، بل واعتمد عليهم ملك غانة في تسيير شئون مملكته[٢]، ونفس الأمر بالنسبة لمدينة جاو التي رفض أهلها تعيين أي حاكم غير مسلم بعد أن زاد عدد معتنقي الإسلام بها[٣]، وأيضًا مدينة جني، التي أراد حاكمها أن يعلن إسلامه، فحشد عددا كثيرًا من العلماء المسلمين[٤].

خاتمة:

إن إعادة كتابة تاريخ المراكز الرئيسة للتجارة عبر الصحراء اعتمادًا على تقارير الحفائر الآثارية في هذه المراكز ومقارنتها مع المصادر المكتوبة والروايات الشفوية يمثل أهمية قصوى؛ للمساهمة في إعادة كتابة تاريخ الاتصالات التجارية عبر

---

[١] ميغا، هارون المهدي: "التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين"، **مجلة قراءات أفريقية**، لندن: تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١، (رمضان ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤م)، ص ٩.

[٢] البكري: مصدر سابق، ص ١٧٤، ١٧٥؛ إ. هربك و ج. دُفيس: مرجع سابق، ص ٣٩٣.

[٣] المغرب، ص ١٨٣.

[٤] السعيدي، عبد الرحمن: ملوك السودان أهل سغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨، ص ١٢.

الصحراء، وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، بل والسياسية، لا سيما بعد أن أكدت تقارير الحفائر أن كثيرًا من القضايا الجوهرية للتجارة العابرة للصحراء تحتاج إلى إعادة النظر بعد أن ظلت لفترات طويلة قضايا مسلم بها.

وفيما يخص مدينة جاو –موضوع هذه الدراسة– أكدت تقارير الحفائر أن هذه المدينة لم تختص بتصدير الذهب والرقيق في مقابل الحصول على الملح، وبعض السلع الأخرى التي ذكرتها المصادر الإسلامية دون تقدير حقيقي لأهميتها، فعدتها سلعًا كمالية، في حين ثبت أن سلعًا كالزجاج، والفخار والخزف، والأحجار الكريمة، والنحاس، لاقت اهتمامًا وإقبالاً متزايدين في أسواق السودان الغربي، وتضاءلت أمامها أهمية سلعة كالذهب، وهو استنتاج يفرض علينا ألا ننظر لطبيعة حاجات الشعوب الأخرى وثقافاتها بما يوافق حاجاتنا وثقافاتنا على غرار ما وقع فيه بعض الجغرافيين والمؤرخين الذين كتبوا عن بلاد السودان الغربي.

أكدت الدراسة أيضًا أنه يجب ألا ننخدع ببعض الإحصاءات أو المعطيات المصدرية المتعلقة ببعض سلع التجارة عبر الصحراء، فسلعة كالرقيق لم يثبت من خلال التحقيقات الآثارية الحثيثة أنها كانت بالكثرة التي تؤكدها بعض الدراسات الحديثة اعتمادًا على المعطيات المصدرية التي يكاد بعضها يحصر أهداف التجار المسلمين في الحصول على الذهب والرقيق، فإذا صح هذا الأمر عن الذهب، فإنه لا يصح عن الرقيق الذي حمله التجار بأعداد محدودة، لا سيما مع صعوبة نقله لهذه المسافات

الطويلة، وتشكيك الفقهاء المالكيين في مشروعية هذه التجارة، فضلاً عن هامش الربح القليل بالمقارنة مع الربح المكتسب من تجارة الذهب.

وعلى النقيض من ذلك أكدت الدراسة أنه وفقًا لتقارير الحفائر، كان العاج من أهم السلع التي صدرتها جاو عبر الصحراء، بينما لم يرد بشأن هذه السلعة إلا النذر اليسير في المصادر الإسلامية على نحو حمل على الاعتقاد بعدم أهمية العاج في صادرات السودان الغربي.

إن تنوع سلع التجارة عبر الصحراء على النحو الذي أثبتته المكتشفات الآثارية يؤكد أن الرقيق لم يكن سلعة رئيسة في هذه التجارة، ومما يعزز هذا الاستنتاج أن الرقيق المجلوبين عبر الصحراء استخدموا كخدم في المنازل، لا سيما لدى الطبقة العليا، بعكس العمل في مزارع العالم الجديد الذي دفع الأوروبيين لشحن أعداد هائلة من الرقيق الأسود عبر الأطلسي إلى العالم الجديد.

وأثبتت الدراسة من خلال تقارير الحفائر، إسهام موقع جاو المتميز عند التقاء طرق التجارة البرية عبر الصحراء مع الطرق النهرية المارة بنهر النيجر، في اتصال هذه المدينة بعدد من الشركاء التجاريين، لا سيما بلاد المغرب الإسلامي، ومصر، وبلاد الشام، والأندلس، والصين والهند، فضلاً عن صلتها بالمراكز التجارية ببلاد السودان الغربي.

وإعمالاً للمنهجية التاريخية التي تفيد من العلوم المساعدة على اختلاف مشاربها كان ضروريًا أن تنتهي هذه الدراسة برصد بعض الآثار التي تركتها التجارة العابرة للصحراء على مدينة جاو، وبخاصة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية، والسياسية؛ فعلى الصعيد الاقتصادي أفادت جاو من شبكة التجارة عبر الصحراء في تطوير اقتصادياتها، فأصبحت مركزًا تسويقيًا متميزًا لعب دور الوساطة بين تجار شمال الصحراء، وجنوبها، إضافة إلى تطور القطاع الحرفي بها. أما على الصعيد الاجتماعي فقد تطور عمران جاو، وأصبحت آهلة بالسكان نتيجة ازدهار النشاط التجاري بها. ودينيًا أسهم التجار المسلمون الذين خالطوا أهل جاو في دعم انتشار الإسلام بها، فأصبح أغلب الأهالي يدينون بالإسلام، بل إنهم كانوا يرفضون تولية أي حاكم غير مسلم، ودل هذا على الاقتران الواضح بين النشاط التجاري وانتشار الإسلام. أما على المستوى السياسي، فقد غدت جاو مملكة مهمة بفضل تفوقها التجاري.

الملاحق(١)- خريطة لمدينة جاو وطرق التجارة عبر الصحراء[١]

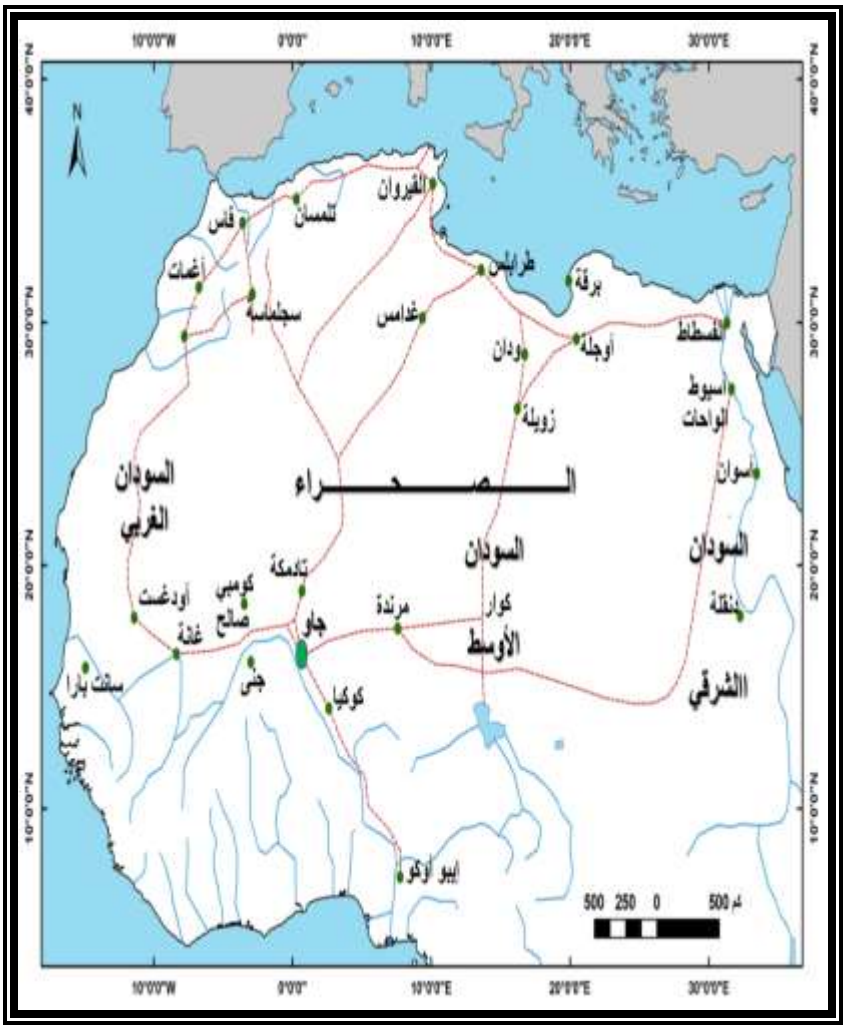

(1) هذه الخريطة أعدها الباحث بتصرف اعتمادًا على:

Insoll, Timothy: «Islamic Glass from Gao Mali», Journal of Glass Studies, Corning Museum of Glass, Vol. 40, (1998), P. 78

(٢)- صورة لأنياب فرس النهر المكتشفة في موقع جاو القديم[١]

(٣)- صورة للخرز الزجاجي المكتشف في موقع جاو ساني[٢]

(1) Insoll: «A Cache of Hippopotamus», P. 329.

(2) Ibid, p. 28.

(٤)- شَقَفْ الفخار الأحمر المكتشف في جاو ساني[١]

(٥)- صورة للعقيق الأحمر والأصفر (الكارنيليان) المكتشف في موقع جاو [٢]

(1) Ibid, p. 22.

(2) Insoll, and Others: «Towards an Understanding», P.1165.

(٦)- صورة للنحاس من موقع جاو ساني[١]

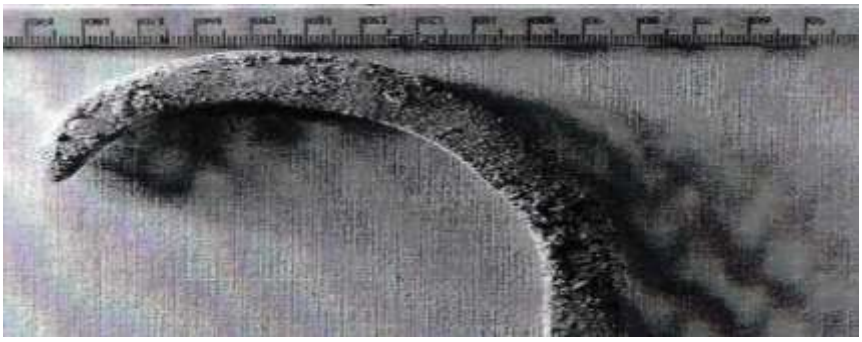

(٧)- الخزف المزجج المشابه لما كان يتم تصنيعه في مالقا بالأندلس[٢]

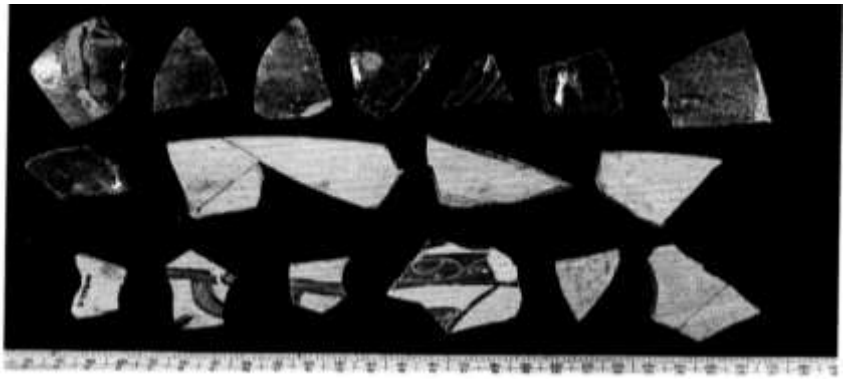

(1) Insoll: Islam Archaeology and History Gao, P.98.

(2) Insoll: «Iron age Gao», P.14.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المخطوطات:

الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام، كان حيًا عام ٥٥٧هـ/١١٦١م):

- سير أبي الربيع الوسياني، مخطوطة محفوظة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، تحت رقم ٩١١٣ح، ميكروفيلم رقم٠٨٤٥٢.

ثانيًا- المصادر العربية:

الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، المتوفى عام٥٦٠هـ/١١٦٤م):

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.

ابن أنس، مالك (أبو عبد الله مالك بن أنس، توفي١٧٩هـ/٧٩٥م):

- المدونة الكبرى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، المملكة العربية السعودية،١٣٢٤هـ.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد (محمد بن عبد الله اللواتي، المتوفى عام٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، طبعة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧هـ.

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المتوفى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد، المتوفى عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

- الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٥٥هـ.

التادلي (يوسف بن يحيى التادلي، المتوفى عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م):

- التشوف إلى رجال التصوف، حققه أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٨٤.

الحموي، ياقوت (شهاب الدين ياقوت الرومي البغدادي، المتوفى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، المتوفى عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

- الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، المتوفى عام ٣٦٧هـ/٩٧٧م):

- صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٣٨.

خسرو، ناصر (أبو المعين ناصر بن خسرو القبادياني، المتوفى عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م):

- سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣.

ابن الخطيب (لسان الدين، المتوفى عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة، مراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩.

الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، المتوفى حوالي ٦٧٠هـ/١٢٧١م):

- طبقات المشائخ بالمغرب، حققه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، د.ت.

الزهري (محمد بن أبي بكر الزهري، كان حيًا في النصف الأول من القرن ٦هـ/١٢م):

- كتاب الجغرافية، حققه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

ابن سعيد (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، المتوفى عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان كرميظ خيديس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨.

- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.

السعيدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران، المتوفى عام ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):

- ملوك السودان أهل سغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تتبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨.

العمري (أبو العباس أحمد بن يحيى، المتوفى عام٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.

عياض (أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، المتوفى عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م):

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، حققه عبد القادر الصحراوي، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ط٢، ١٩٨٣.

ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد الهمذاني، المتوفى عام٣٤٠هـ/٩٥١م):

- كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، المتوفى عام٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

القيرواني، ابن أبي زيد (عبد الله أبو محمد، المتوفى عام٣٨٦هـ/٩٩٦م):

- الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

كربخال، مارمول (لويس دل مارمول كربخال، المتوفى عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م):

- أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ١٩٨٩.

المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد، المتوفى عام ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م):

- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، حققه بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤.

المالكي، ابن الصغير (محمد أبو عبد الله بن الضرير، المتوفى عام ٣٠٠هـ/٩١٢م):

- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر، وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦.

مجهول (ألفه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م):

- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

مجهول (مؤلف مراكشي من أهل القرن ٦هـ/١٢م):

- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥.

المسعودي (أبو الحسن بن علي، المتوفى عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والعامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦.

المقري، أبو العباس (أحمد بن محمد، المتوفى عام ١٠٤١هـ/١٦٣٢م):

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

المنجم (إسحاق بن الحسين، توفي في القرن ٤هـ/١٠م):

- آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ.

المهلبي (أبو محمد الحسن، المتوفى عام٣٨٠هـ/٩٩٠م):

- الكتاب العزيزي المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه تيسير خلف، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٦.

ابن الوردي (عمر بن مظفر بن محمد، المتوفى عام ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، حققه أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٨.

- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

الوزان (الحسن بن محمد، المتوفى عام٩٦٠هـ/١٥٥٢م):

- وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

اليعقوبي (أحمد بن إسحاق، المتوفى عام٢٨٤هـ/٨٩٧م):

- تاريخ اليعقوبي، طبعة مدينة ليدن، ١٨٨٣.

ثالثًا- المرجع العربية والمعربة:

إبراهيم، عبد الله:

- عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١.

أ. هربك و ج. دُفيس:

- المرابطون، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤.

تاوشيخت، لحسن:

- سجلماسة كمحطة للتواصل الحضاري بين ضفتي الصحراء، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية، تطوان، ١٩٩٨.

حسين، محمود إبراهيم:

- الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.

دُفيس .ج:

- التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤.

ديوب، إبراهيم:

- "مدخل إلى أركيولوجيا تجارة الرقيق"، في روبير فيرني (محرر): الأركيولوجيا في أفريقيا الغربية الصحراء والساحل، ترجمه عن الفرنسية: بوبة ولد محمد نافع، نواكشوط، ٢٠٠٢.

سيديبي، ساموبل:

- "القبور والشعائر المأتمية"، في روبير فيرني (محرر): الأركيولوجيا في أفريقيا الغربية الصحراء والساحل، ترجمه عن الفرنسية: بوبة ولد محمد نافع، نواكشوط، ٢٠٠٢.

شريف، أ.م. هـ:

- الساحل الأفريقي الشرقي ودوره في التجارة البحرية، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٨٥.

الشكري، أحمد:

- الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩.

طرخان، إبراهيم:

- إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.

عبد الكريم، جودت:

- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.

عثمان، شوقي عبد القوي:

- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ١٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (يوليو ١٩٩٠).

فاناكير، أكلوديت:

نتائج التنقيب في حي صناعي عن مدينة أودغست، المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، صنعاء، فبراير ١٩٨٥.

ليفيتسكي، تاديوز:

- دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤.

مراد، حسين سيد:

- الصلات بين المغرب والسودان الغربي خلال القرن ٦.٢ هـ/ ٨-١٢م، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ، ليبيا، ٢٠٠٦.

المنجد، صلاح الدين:

- مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط٢، ١٩٨٢.

نظير، وليم:

- الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.

ولد الحسين، الناني:

- صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧.

رابعًا- المراجع الأجنبية:

Carboni. S:

- Glass from Islamic Lands, The Al Sabah Collection, London, 2001.

Conrad, David:

- Empires of Medieval West Africa Ghana, Mali and Songhay, Acid-free paper, USA, 2005.

Hale, Thomas:

- Scribe, Griot, and Novelist Narrative Interpreters of the Songhay Empire, University of Florida Press, USA, 1990.

Hall, Martin, Stefoff, Rebecca:

- Great Zimbabwe, Oxford University Press, Oxford, 2006.

Hamani, Djibo:

- L'islam au Soudan Central, Histoire de L'Islam au Niger du Viie Au Xixe Siècle, Harmatan Publiè, Paris, 2007.

Henderson, Julian:

- Ancient Glass an Interdisciplinary Exploration, Cambridge University press, USA, 2013.

Hunwick, John:

- "Songhay, Borno and Hausa States 1450-1600", in Ajayi and Crowder (eds): The History of West Africa, 3rd Edition, Longman, 1985.
- Les Rapports Intellectuels Entre le Maroc et L'Afrique Sub-Saharienne à Travers les Ages, Chaire du Patrimoine Maroco-Africain, Université Mohammed V, Rabat, 1990.

Insoll, Timothy and Shaw, Thurstan:

- «Gao and Igbo-Ukwu: Beads, Interregional Trade, and Beyond», African Archaeological Review, 14, 1 (1997).

Insoll, Timothy:

- Islam, Archaeology and History Gao Region (Mali), ca. AD 900-1250, British Archaeological Reports, Archaeological and Historical Associates Llimited, Hadrian Books Ltd, Oxford, 1996.

- "Timbuktu and Europe: Trade, Cities and Islam in Medieval West Africa", in Linehan, Peter and Nelson, Janet (eds): The Medieval World, Routledge, London and New York, 2003.

Lewicki, Tadeusz:

- West African Food in the Middle Ages, Cambridge University Press, Cambridge, 1974.

Mauny, Raymond:

- «Découverte à Gao d'un Fragment de Poterie émaillée du Moyen âge Musulman», Hesperis: Archives Berbères et Bulletin de L'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Librairie Larose, Paris, (1952).

Mcintosh, Susan Keech:

- "Conclusion the Sites in Regional Context", in Mcintosh, Susan Keech (Editor): Excavations at Jenne-Jeno, Hambarketolo and Kaniana (Inland Niger Delta Mali), the 1981 Season, University of California Press, Los Angeles, 1995.

- "Stone, Glass, and Bone", In Mcintosh, Susan (Editor): Excavations at Jenné-Jeno, Hambarketolo, and Kaniana (Inland Niger Delta, Mali): The 1981 Season, University of California Press, USA, 1995.

Mervyn, Hiskett:

- The Development of Islam in West Africa, Longman Group LTD, London, 1948.

Sauvaget . J:

- "Les épitaphes Royales de Gao", dans: Al-Andalus Revista de Las Escuelas de Estudios Arabes de Madrid Y Granada, Vol. XIV, Pelayo Instituto Miguel, Asian, 1949.

خامسًا- الدوريات العربية:

عبد العزيز، محمد الحسيني:

- "فن صناعة الزجاج في العصور الإسلامية"، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد ١٨٣، السنة١٦، (يناير/ ربيع الأول١٩٨٠).

فارياس، باولو فرناندو:

- "نظام تجارة تادمكة وجاو كاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء مع التركيز على الكتابات المستمدة من الكتابات العربية في العصور الوسطى"، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد ١، السنة الثالثة (يناير ١٩٨١).

مراد، حسين:

- "دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة/ القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد"، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٤٦، (٢٠٠٨).

ميغا، هارون المهدي:

- "التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين"، مجلة قراءات أفريقية، لندن: تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١، (رمضان ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤م).

وناس، زمان عبيد:

- "الزراعة والصناعة في جاو عصر دولة السونغاي في عهد الأساكي ٨٩٨ - ٩٩٩ هـ"، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، العراق، العدد ١، (كانون الثاني ٢٠٠٨).

يوسف، عبد الرءوف:

- "الرسوم الآدمية على الخزف المصري في العصر الإسلامي"، المجلة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، العدد ٢١، السنة ٢، (صفر/ سبتمبر ١٩٥٨).

سادسًا- الدوريات الأجنبية:

Arazi, Noémie:

«An Archaeological Survey in the Songhay Heartland of Mali», Nyame Akuma, No. 52, December (1999).

Cisse, Mamadou, McIntosh, Susan Keech, and Others:

«Excavations at Gao Saney: New Evidence for Settlement Growth, Trade and Interaction on the Niger Bend in the First Millennium CE», Journal of African Archaeology, Vol.11, No.1, (2013).

Decorse, Christopher:

«Culture Contact, Continuity and Change on the Gold Coast, AD 1400-1900», African Archaeological Review, Vol. 10, (1992).

Farias, Paulo Fernando de Moraes:

«The Oldest Extant Writing of West Africa: Medieval Epigraphs from Issuk, Saney and Egef-n-Tawaqqast (Mali)», Journal des Africanistes, Vol.60, Numéro.2, (Année 1990).

«Bentyia (Kukyia): A Songhay–Mande Meeting Point and a "Missing Link" in the Archaeology of the West African Diasporas of Traders», Warriors, Praise Singers, and Clerics, Afriques, No. 4, (2013).

Hunwick, John:

«Gao and the Almoravids Revisited: Ethnicity, Political Change and the Limits of Interpretation», Journal of African History, Vol.35,No.2 (1994).

Insoll, Timothy:

«A Cache of Hippopotamus Ivory at Gao, Mali and a Hypothesis of its Use», Antiquity, No. 69, (1995).

«A 16th-17th Century AD Sherd of Chinese Stoneware Found at Gao, the Republic of Mali West Africa», The Oriental Ceramic Society Newsletter ,Vol. 3, (1995).

«Iron Age Gao: an Archaeological Contribution», the Journal of African History, Vol.38, No.1 (1997).

«Islamic Glass from Gao Mali», Journal of Glass Studies, Corning Museum of Glass, Vol. 40, (1998).

Insoll, Timothy and Others:

«Towards an Understanding of the Carnelian Bead Trade from Western India to Sub-Saharan Africa: the Application of UV-LA-ICP-MS to Carnelian from Gujarat India and West Africa», Journal of Archaeological Science, No.31, (2004).

Lange, Dierk:

«from Mande to Songhay: Towards a Political and Ethnic History of Medieval Gao», Journal of African History, Vol. 35, No.2, (1994).

Maclean, Rachel, Insoll, Timothy:

«Archaeology, Lluxury and the Exotic: the Examples of Islamic Gao (Mali) and Bahrain», World archaeology, Vol. 34, No.3: Luxury Foods, (Feb 2003).

Ogundiran, Akinwumi:
«Of Small Things Remembered: Beads, Cowries, and Cultural Translations of the Atlantic Experience in Yorubaland», The International Journal of African Historical Studies, Vol. 35, No. 2/3 (2002).
Okpoko, A. Ikechukwu:
«Archaeology and the Study of Early Urban Centers in Nigeria», African Study Monographs, Vol. 19, No .1, (May 1998).
Ryan, P.:
«Islam and Politics in West Africa Minority and Majority Models», The Muslim world, Vol. LXXVII, No.1, (January 1987).
Scanlon, George T:
«Fustat and the Islamic Art of Egypt», Archaeology, Vol.21, No.3, (June, 1968).
Vanacker, Claudette:
«Perles de Verre Decouvertes sur le Site de Tegdaoust (Mauritanie Orientale)», Journal des Africanistes, 54, fasc 2, (1984).
Wood, Marilee:
«Making Connections: Relationships between International Trade and Glass Beads from the Shashe-Limpopo Area», Goodwin Series, African Naissance: The Limpopo Valley 1000 Years Ago, Vol. 8, (Dec, 2000),

سابعًا- الرسائل العلمية:

Heddouchi, Choukri:
For a Dar Islamic Archaeology: Egypt and West Africa and the Limits of Islamic Archaeology, PhD, Department of Near Eastern Languages and Civilizations, The University of Chicago, March 2012